
كتب الفراشة - القصص العالميّة
الأمير والفقير
عرب كومكس
ARAB COMICS
www.arabcomics.net

كتب الفراشة - القِصص العالميّة

الأَميرُ والفَقيرِ



تَأليفُ: مارْك تُوين
تَرجَمة: هاني تابري



مكتبة لبنان ناشِرُون

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل
زقاق البلاط - ص.ب: ٩٢٣٢-١١
بيروت - لبنان
وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

الطبعة الأولى ١٩٩٦
رقم الكتاب 01 C 196830
طبع في لبنان



مقدّمة

ظَهَرَتْ رِوايَةُ مارْك توين «الأمير والفَقير» [The Prince and the Pauper] سَنَةَ ١٨٨١، وهِيَ إحْدى أَشْهَرِ قِصَصِ المُغامَراتِ الطَّريفَةِ. تَدورُ الأَحْداثُ في إنكلْترا في أواخِرِ أيّامِ المَلِكِ هنْري الثّامِنِ (القَرْنِ السّادِسَ عَشَرَ)، وتَرْتَكِزُ على المُفارَقاتِ النّاتِجَةِ عَنْ تَبادُلِ شَخْصِيَّتَي الأميرِ وأَحَدِ الأَوْلادِ الفُقَراءِ.

كانَ الأَميرُ إدْوارْد وَلِيُّ العَهْدِ في العاشِرَةِ مِنْ عُمْرِهِ وكانَتْ حَياةُ القَصْرِ وقُيودُ الرَّسْمِيّاتِ تَمْنَعُهُ مِنَ اللَّهْوِ واللَّعِبِ، فيما كانَ توم كانْتي وَلَدًا فَقيرًا مُعْدِمًا يَحْلُمُ بِالتَّخَلُّصِ مِنْ وَضْعِهِ الزَّرِيِّ ويَسْمَعُ قِصَصَ الأُمَراءِ والمُلوكِ ويَتوقُ لِرُؤْيَةِ أَميرٍ حَقيقِيٍّ عَنْ كَثَبٍ. لَمّا جَمَعَتِ الصُّدْفَةُ هٰذَيْنِ الوَلَدَيْنِ المُغامِرَيْنِ لاحَظا الشَّبَهَ الكَبيرَ بَيْنَهُما، فَقَرَّرا تَبادُلَ الثِّيابِ والمَواقِعِ لِفَتْرَةٍ قَصيرَةٍ مِنْ أَجْلِ المُتْعَةِ والتَّسْلِيَةِ.

لٰكِنَّ خُيوطَ اللُّعْبَةِ خَرَجَتْ مِنْ أَيْديهِما، فَبَعْدَ أَنْ طَرَدَ الحُرّاسُ الأَميرَ، في ثِيابِ توم، خارِجَ أَسْوارِ القَصْرِ وَدَّعَ الأَميرُ حَياةَ البَذْخِ والتَّرَفِ وذاقَ الأَمَرَّيْنِ وهُوَ يُواجِهُ صُعوباتِ حَياةِ الفَقيرِ توم وقَسْوَةَ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، وتَحَمَّلَ الهُزْءَ والسُّخْرِيَةَ لِقَوْلِهِ إنَّهُ الأَميرُ، ولٰكِنَّهُ تَعَرَّفَ إلى

واقِعِ حَياةِ الفُقَراءِ في إنكلْترا إبّانَ حُكْمِ سُلالَةِ تيودر.

أمّا توم، في دَوْرِ الأَميرِ إدْوارْد، فَقَدْ غاصَ في بَحْرٍ مِنَ الذُّهولِ والحَيْرَةِ والارْتِباكِ، وأَصابَهُ المَلَلُ إذْ حُرِمَ اللَّعِبَ والمَرَحَ على هَواهُ كَما في السّابِقِ. لَمْ يَسْتَطِعْ توم التَّأَقْلُمَ مَعَ مَظاهِرِ الأُبَّهَةِ والتَّرَفِ في القَصْرِ، وضَغَطَتْ عَلَيْهِ المَراسِمُ والشَّكْلِيّاتُ خُصوصًا مَعَ اقْتِرابِ مَوْعِدِ تَتْويجِهِ مَلِكًا لإنكلْترا! فَسَعَى إلى إقْناعِ أَهْلِ القَصْرِ بِهُوِيَّتِهِ الحَقيقِيَّةِ، لٰكِنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقوهُ.

وتُصَوِّرُ القِصَّةُ المَصاعِبَ الّتي واجَهَتْ إدْوارْد في سَعْيِهِ لإثْباتِ حَقيقَةِ شَخْصِيَّتِهِ ومُحاوَلَتِهِ الوُصولَ إلى القَصْرِ في الوَقْتِ المُناسِبِ.

إنَّ القارِئَ - كَبيرًا كانَ أَمْ صَغيرًا - يُتابِعُ قِراءَةَ الرِّوايَةِ بِشَغَفٍ بالِغٍ، ويَعيشُ مَعَ هٰذَيْنِ الوَلَدَيْنِ في مُغامَراتٍ مُثيرَةٍ خاضَها كُلٌّ مِنْهُما وهُوَ يُحاوِلُ إثْباتَ هُوِيَّتِهِ والعَوْدَةَ إلى عالَمِهِ الخاصِّ. ولَيْسَتِ «الأَمير والفَقير» قِصَّةَ أَحْداثٍ شَيِّقَةٍ ومَواقِفَ طَريفَةٍ فَحَسْبُ، فَهِيَ - بالإضافَةِ إلى ذٰلِكَ - تُلْقي الضَّوْءَ على جانِبٍ اجْتِماعِيٍّ خَطيرٍ إذْ تُصَوِّرُ مَدى البُؤْسِ الّذي سَيْطَرَ على حَياةِ عامَّةِ الشَّعْبِ في ذٰلِكَ العَصْرِ.



الأمير والفقير

توم كانْتي

في العامِ ١٥٤٧، كانَ في مَدينَةِ لَنْدن عائِلاتٌ كَثيرَةٌ يُعاني أَفْرادُها مِنْ شَظَفِ العَيْشِ، ومِنْ بَيْنِ هٰؤُلاءِ الفُقَراءِ عائِلَةُ توم كانْتي. كانَ والِدُ توم رَجُلًا كَسولًا لا يُحِبُّ الكَدَّ ولا يَسْعَى لإيجادِ عَمَلٍ.

ومَنْزِلُ جون كانْتي هٰذا عِبارَةٌ عَنْ غُرْفَةٍ واحِدَةٍ شِبْهِ فارِغَةٍ، في أَفْقَرِ أَحْياءِ لَنْدن، يَسْكُنُها هُوَ وزَوْجَتُهُ وأَوْلادُهُ الثَّلاثَةُ وأُمُّهُ. لَمْ يَكُنْ في البَيْتِ فِراشٌ لِذٰلِكَ كانَ الأَوْلادُ يَنامونَ عَلى الأَرْضِ.

إِعْتادَ جون كانْتي أَنْ يُرْسِلَ ابْنَهُ توم وابْنَتَيْهِ بيتي ونانا إلى الطُّرُقاتِ كُلَّ يَوْمٍ، لِيَتَسَوَّلوا ويَسْتَعْطوا المارَّةَ وهُمْ يُرَدِّدونَ عِباراتِ الاسْتِعْطافِ والأَدْعِيَةَ. وكانَ يَضْرِبُهُمْ ويَمْنَعُ عَنْهُمُ الطَّعامَ إِنْ لَمْ يَعودوا إِلَيْهِ بِالمالِ. لِذٰلِكَ كانَتْ حَياةُ هٰؤُلاءِ الصِّغارِ حَياةً تَعِسَةً.



عاشَ، في غُرْفَةٍ أُخْرى مِنَ المَبْنى نَفْسِهِ، كاهِنٌ عَجوزٌ هُوَ الأَبُ أَنْدرو، وكانَ إنْسانًا لَطيفًا واسِعَ الثَّقافَةِ غَزيرَ العِلْمِ، فَأَحَبَّهُ توم وأَكْثَرَ مِنَ التَّرَدُّدِ إلَيْهِ لِسَماعِ أَحاديثِهِ وأَخْبارِهِ.

وأَكْثَرُ ما كانَ يَسُرُّ توم في هٰذِهِ الأَحاديثِ كَلامُ الأَبِ أَنْدرو عَنِ المُلوكِ والأُمَراءِ.

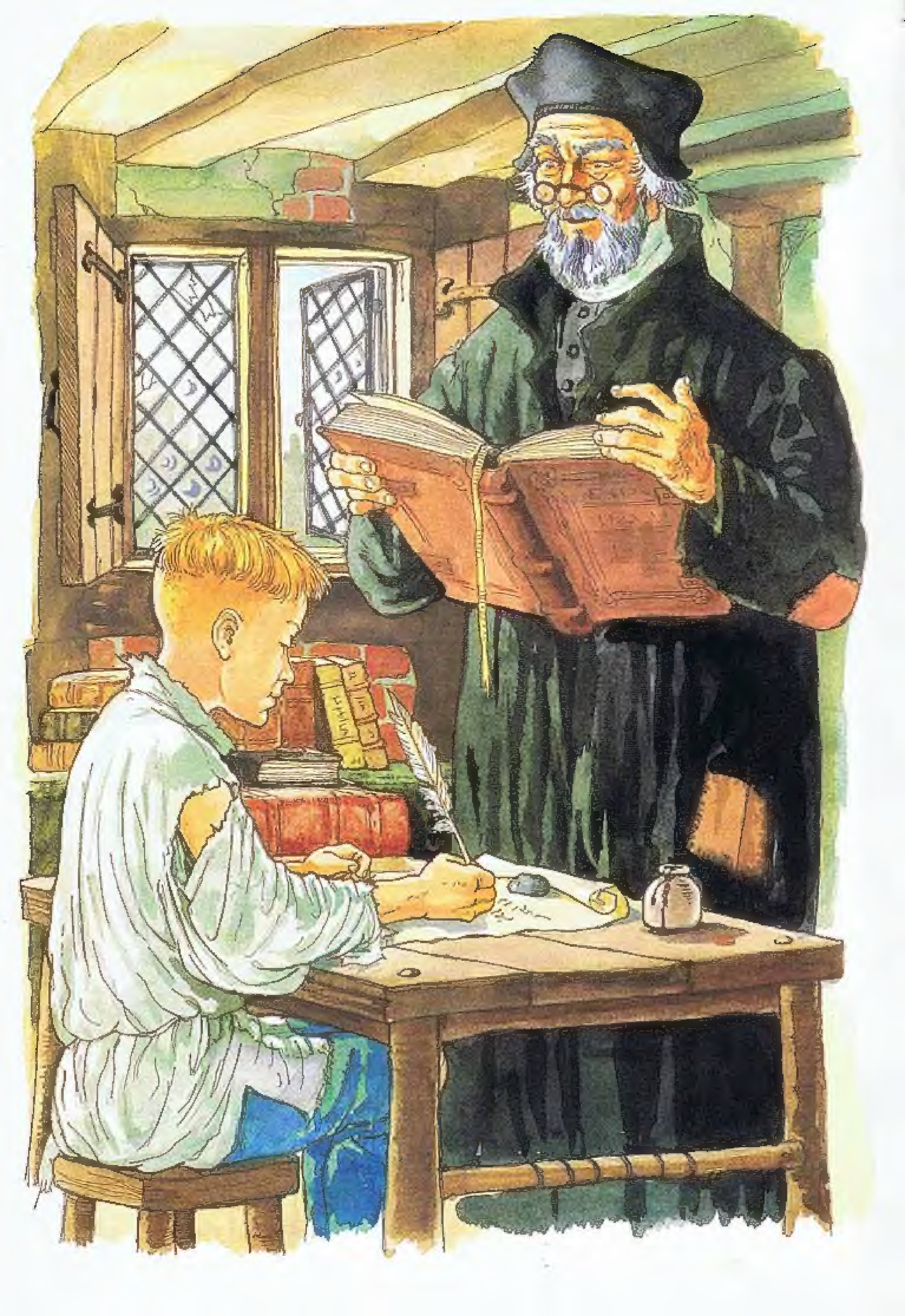
ولَمّا عَبَّرَ توم عَنْ رَغْبَتِهِ في أَنْ يكونَ مِثْلَ الأُمَراءِ، قالَ لَهُ الأَبُ أَنْدرو: «عَلَيْكَ إِذًا أَنْ تَتَعَلَّمَ اللُّغَةَ اللّاتينِيَّةَ لِأَنَّها لُغَةُ العِلْمِ.» وبَدَأَ تَعْليمَهُ مبادِئَ اللّاتينِيَّةِ إلى جانِبِ تَدْريبِهِ عَلى أُصولِ التَّخاطُبِ وقَواعِدِ السُّلوكِ والآدابِ.

كانَ توم، خِلالَ اللَّهْوِ مَعَ رِفاقِهِ الأَوْلادِ، يَلْعَبُ دَوْرَ الأَميرِ، حَتّى إنَّ رِفاقَهُ كانوا يَهْزَؤونَ بِهِ ويُنادونَهُ «الأَميرَ توم». لٰكِنَّهُمْ كانوا يُحِبّونَهُ ويُمْضونَ ساعاتٍ جَميلَةً مَعًا يَلْعَبونَ ويَلْهونَ قُرْبَ النَّهْرِ أَوْ يَسْبَحونَ في مِياهِهِ.

كانَ يَحْكُمُ إنكِلْترا، آنَذاكَ، المَلِكُ هنْري الثّامِنُ، وكانَ ابْنُهُ الوَحيدُ الأَميرُ إدْوارْد وَلِيًّا لِلعَهْدِ، أَيْ أَنَّهُ سَيُصْبِحُ مَلِكًا بَعْدَ أَبيهِ. وكانَ مَقَرُّ المَلِكِ قَصْرَ وسْتْمِنِسْتر في لَنْدن.

قالَ الأَبُ أَنْدرو لِتوم يَوْمًا: «أَنْتَ تَتَظاهَرُ بِأَنَّكَ أَميرٌ. لٰكِنْ إذا أَرَدْتَ أَنْ تَرى أَميرًا حَقيقِيًّا فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَرَدَّدَ إلى قَصْرِ وسْتْمِنِسْتر حَيْثُ يَعيشُ الأَميرُ إدْوارْد ابْنُ المَلِكِ. مَنْ يَدْري؟ فَقَدْ تَتَمَكَّنُ مِنْ رُؤْيَتِهِ يَوْمًا!»

وهٰكَذا باتَ توم لَيْلَتَهُ وهُوَ يَحْلُمُ بِالذَّهابِ إلى القَصْرِ.



تومٌ والأميرُ يَتَبادَلانِ

ذَهَبَ توم، في اليَوْمِ التّالي، إلى القَصْرِ المَلَكِيِّ ووَقَفَ أمامَ بَوّابَتِهِ الكَبيرَةِ المُقْفَلَةِ وراحَ يَنْظُرُ مِنْ خِلالِ قُضْبانِها، فيما كانَ حارِسانِ يَقِفانِ عَلى الجانِبَيْنِ. رَأى توم كَثيرًا مِنَ السّادَةِ والسَّيِّداتِ يَروحونَ ويَجيئونَ في باحَةِ القَصْرِ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَرَ الأَميرَ.

أَخَذَ توم يَتَرَدَّدُ إلى بَوّابَةِ القَصْرِ يَوْمِيًّا. وفي إحْدى المَرّاتِ، رَأى وَلَدًا يَخْرُجُ مِنْ بابِ مَبْنى القَصْرِ ويَمْشي في الباحَةِ الكُبْرى، فَخَفَقَ قَلْبُهُ وتَقَدَّمَ وهُوَ يَصيحُ: «أُريدُ أَنْ أَرى الأَميرَ.» زَجَرَهُ أَحَدُ الحارِسَيْنِ وقالَ: «إيّاكَ أَنْ تَقْتَرِبَ»، وضَرَبَهُ بِشِدَّةٍ حَتّى إنَّهُ وَقَعَ أَرْضًا. ولَمّا رَأى الأَميرُ ما حَدَثَ غَضِبَ وجاءَ إلى الحارِسِ وقالَ:

- لِماذا ضَرَبْتَ الصَّبِيَّ؟ اِفْتَحِ البَوّابَةَ وأَدْخِلْهُ.
- يا سُمُوَّ الأَميرِ، إنَّهُ مُجَرَّدُ مُتَسَوِّلٍ شَريدٍ.
- إنَّ أَبي هو مَلِكُ جَميعِ النّاسِ سَواءٌ أكانوا أَغْنِياءَ أَمْ فُقَراءَ.. أَدْخِلْهُ!

فَتَحَ الحارِسُ البَوّابَةَ وجاءَ بِتوم إلى الأَميرِ الّذي بادَرَهُ بِقَوْلِهِ: «تَعالَ مَعي. مَنْ أَنْتَ؟ ولِماذا تُريدُ رُؤْيَتي؟ لَقَدْ رَأَيْتُكَ مِنْ نافِذَتي تَتَرَدَّدُ إلى البَوّابَةِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ.»

دَخَلَ الأَميرُ القَصْرَ، ومَشى توم وَراءَهُ مَذْهولًا، ووَصَلا إلى إحْدى القاعاتِ حَيْثُ نادَى الأَميرُ خادِمًا وأَمَرَهُ بِإحْضارِ الطَّعامِ.

لَمّا امْتَلأَتِ المائِدَةُ رَأى توم مِنْ أَلْوانِ الطَّعامِ ما لَمْ يَكُنْ قَدْ رآهُ طيلَةَ حَياتِهِ، فَأَكَلَ وأَكَلَ ما طابَ لَهُ. ثُمَّ سَأَلَهُ الأَميرُ:

- أُريدُ أَنْ أَعْرِفَ كُلَّ شَيْءٍ عَنْكَ. ما اسْمُكَ وأَيْنَ تَعيشُ؟

- أَنا توم كانْتي، وأَسْكُنُ مَعَ أَبي وأُمّي وأُخْتَيَّ وجَدَّتي في غُرْفَةٍ بِشارِعِ پودِنْغ لايْن.

- غُرْفَةٌ واحِدَةٌ! هَلْ تَسْكُنونَ كُلُّكُمْ في غُرْفَةٍ واحِدَةٍ؟

- أَجَلْ أَجَلْ.

- ولِماذا؟ أُنْظُرْ إلى هٰذا القَصْرِ، فَفيهِ مِئاتُ الغُرَفِ.



نَحْنُ فُقَراءُ جِدًّا. إنَّ أَبي يُرْسِلُني كُلَّ يَوْمٍ إلى الشَّوارِعِ لِأَسْتَعْطِيَ المالَ، وإنْ لَمْ أَعُدْ بِمبْلَغٍ كافٍ فَإنَّهُ يَضْرِبُني.
هٰذا غَيْرُ مَعْقولٍ! سَأُرْسِلُ جُنودي لِيَضْرِبوهُ.

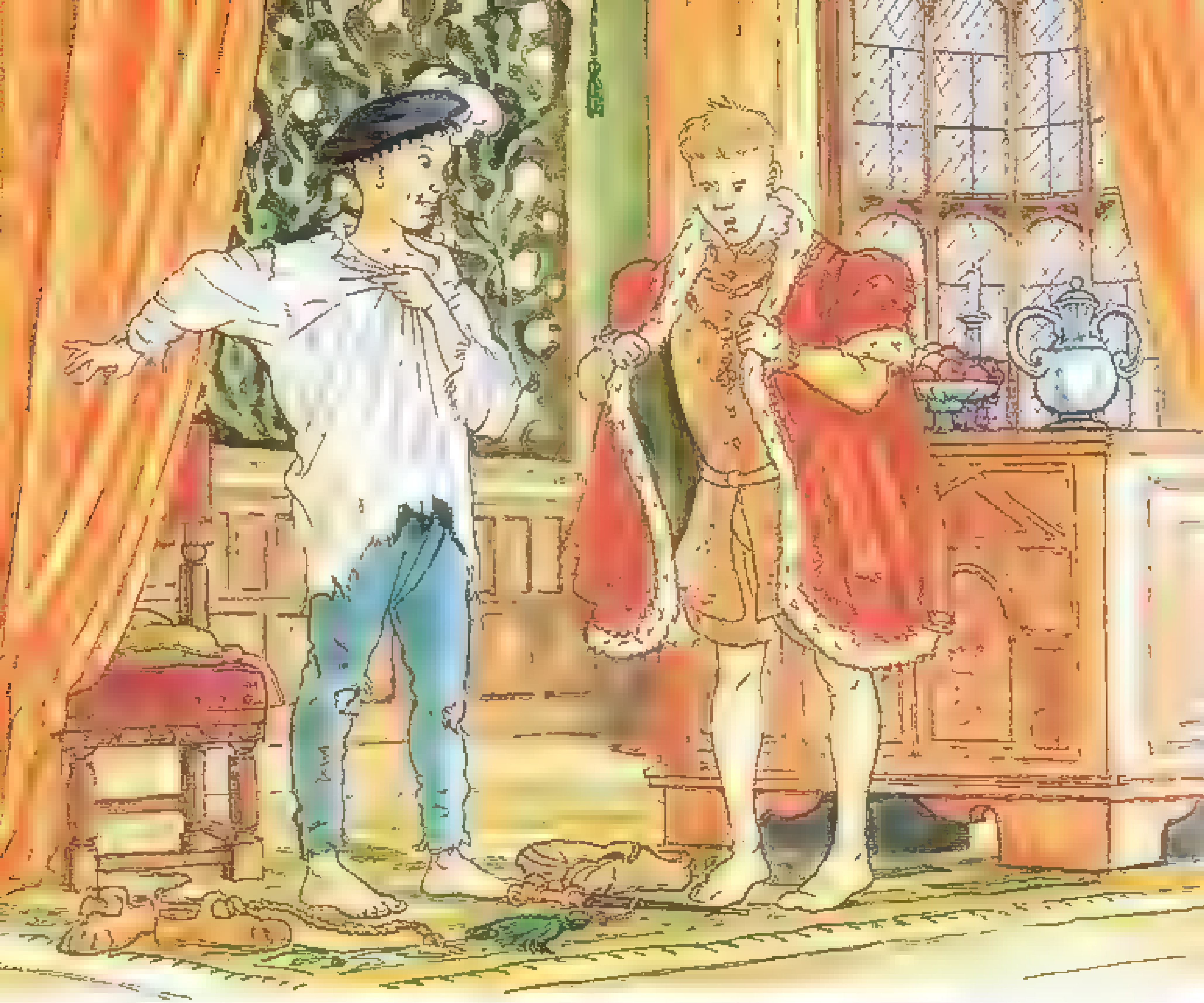
فَرَجاهُ توم صادِقًا: «لا لا، فَإنّ هٰذا سَيُحْزِنُ أُمّي وشَقيقَتَيَّ». قالَ الأَميرُ: «أنا عِنْدي ثَلاثُ شَقيقاتٍ اللّيدي إليزابث واللّيدي جين واللّيدي ماري. إنّ اللّيدي إليزابث عاقلةٌ حَكيمَةٌ، واللّيدي جين لَطيفَةٌ وتَهْتَمُّ بالكُتُبِ والمُطالَعَةِ. لٰكِنّي لا أُحِبُّ اللّيدي ماري لأَنّها لا تَضْحَكُ أَبَدًا ولا تلْعَبُ مَعي. هَلْ تَلْعَبُ أَنْتَ مَعَ أَوْلادٍ آخَرين؟»

إسْتَغْرَبَ توم هٰذا السُّؤالَ وأَجابَ: «بِالطَّبْعِ، إنّنا نَلْعَبُ دائِمًا.» رَدَّ الأَميرُ بأَسًى: «أَمّا أَنا فَلا أَحِدُ مَنْ يَلْعَبُ معي. قُلْ لي: ماذا تَلْعَبونَ؟»

قالَ توم مَسْرورًا والأَميرُ يُصْغي حَزينًا: «إنّنا نَلْعَبُ بِالكُرَةِ، وأَحْيانًا نَرْكُضُ قُرْبَ النَّهْرِ أَوْ نَسْبَحُ في مِياهِهِ. وفي كَثيرٍ مِنَ الأَحْيانِ أَلْعَبُ دَوْرَ الأَميرِ.»

قالَ الأَميرُ إدْوارْد: «كَمْ أَتَمَنّى أَنْ أَلْعَبَ دَوْرَ صَبِيٍّ فَقيرٍ مِثْلِكَ، وأَنْ أَلْهُوَ مَعَ الأَوْلادِ قُرْبَ النَّهْرِ وأَخوضَ في مِياهِهِ سابِحًا.» ثُمَّ أَطْرَقَ قَليلًا وأَرْدَفَ: «فَلْنَتَبادَلْ ثِيابَنا لِفَتْرَةٍ قَصيرَةٍ. سَتَكونُ أَنْتَ الأَميرَ وأَكونُ أَنا الصَّبِيَّ الفَقيرَ. هَيّا».

لَمْ يَنْتَظِرِ الأَميرُ جَوابًا، بَلْ راحَ يَخْلَعُ مَلابِسَهُ، فَنَزَعَ توم ثِيابَهُ الرَّثَّةَ ولَبِسَ ثِيابَ الأَميرِ. ولَمّا نَظَرَ توم إلى الأَميرِ مُرْتَدِيًا ثِيابَهُ أَخَذَ يُسائِلُ نَفْسَهُ: «أَيْنَ رَأَيْتُ مِثْلَ هٰذا الإنْسانِ مِنْ قَبْلُ؟ إنَّهُ يُشْبِـ...» هُنا هَتَفَ



الأميرُ: «تَعالَ إلى هُنا وانْظُرْ! فَلْنَقِفْ مَعًا أمامَ المِرْآةِ.»

كانَ واحِدُهُما يُشْبِهُ الآخَرَ تَمامًا. وقَدْ بَدا الأميرُ مِثْلَ توم بِالضَّبْطِ خُصوصًا وهُوَ لابِسٌ ثِيابَهُ المُمَزَّقَةَ؛ فيما ظَهَرَ توم كَأَنَّهُ الأميرُ عَيْنُهُ.

قالَ الأميرُ: «اِبْقَ هُنا حَتّى أعودَ»، وأَسْرَعَ نَحْوَ الطّاوِلَةِ وأَخَذَ عَنْها شَيْئًا كُرَوِيًّا صَغيرًا ووَضَعَهُ في مَكانٍ ما وهُوَ يَرْكُضُ نَحْوَ البابِ، ولَمْ يُلاحِظْ توم ذٰلِكَ لِأَنَّهُ كانَ مُنْذَهِلًا.

بَعْدَ خُروجِ الأميرِ أَلْفَى توم نَفْسَهُ وَحيدًا في تِلْكَ الغُرْفَةِ الفَسيحَةِ كَالتّائِهِ الحَيْرانِ.

كَيْفَ وَصَلَ الأَميرُ إِلى مَنْزِلِ توم كانْتي

لَمّا وَصَلَ الأَميرُ إِلى بَوّابَةِ القَصْرِ صاحَ بِلَهْجَتِهِ الآمِرَةِ: «اِفْتَحا البَوّابَةَ بِسُرْعَةٍ.» فَتَحَ الحارِسانِ البَوّابَةَ، لٰكِنَّ أَحَدَهُما ضَرَبَهُ عَلى رَأْسِهِ وقالَ لَهُ: «كَيْفَ تُخاطِبُ حَرَسَ المَلِكِ بِهٰذِهِ الطَّريقَةِ؟!»

وَقَدْ وَقَعَ الأَميرُ إِدْوارْد أَرْضًا وراحَ المُتَجَمْهِرونَ في الخارِجِ يَضْحَكونَ مِنْهُ، فَوَقَفَ وَقالَ لِلحارِسِ: «أَنا الأَميرُ يا أَبْلَهُ. سَوْفَ أُعْدِمُكَ لِفَعْلَتِكَ هٰذِهِ، وكَذٰلِكَ أَنْتُمْ أَيُّها المُغَفَّلونَ الَّذينَ تَهْزَؤونَ بي.» فَازْدادَ النّاسُ ضَحِكًا، وانْبَرى أَحَدُهُمْ يَسْخَرُ مِنْهُ بِقَوْلِهِ: «اِحْنوا رُؤوسَكُمْ للأَميرِ. اخلعوا قُبَعاتِكُمْ وقفوا جانِبًا لِيَمُرَّ!»

وفيما كانَ الأَميرُ يَمُرُّ بَيْنَ النّاسِ الغارِقينَ في الضَّحِكِ سَمِعَ بَعْضَهُمْ يَقولُ: «مِسْكينٌ! إِنَّهُ مَجْنونٌ.»

مَشى إِدْوارْد في الطَّريقِ، ولَمْ يَتْبَعْهُ النّاسُ لأَنَّهُمْ، في تِلْكَ الأَيّامِ، كانوا يَخافونَ المَجانينَ ويَظُنّونَ أَنَّهُمْ جَميعًا خَطِرونَ.

واصَلَ إِدْوارْد سَيْرَهُ لٰكِنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ أَيْنَ كانَ؟

فَالأَميرُ لَمْ يَكُنْ مُعْتادًا عَلى السَّيْرِ في شَوارِعِ المَدينَةِ، وهُوَ لَيْسَ مِثْلَ توم الَّذي اعْتادَ المَشْيَ كَثيرًا، لِذٰلِكَ سُرْعانَ ما تَشَقَّقَتْ قَدَماهُ وأَحَسَّ بِالتَّعَبِ وعَضَّهُ الجوعُ وأَخَذَ يَتَساءَلُ: «هَلْ يُمْكِنُني أَنْ أَجِدَ طَعامًا؟ أَيْنَ أَجِدُ مَكانًا أَرْتاحُ فيهِ؟ كَيْفَ سَأَعودُ إِلى القَصْرِ؟»



قَرَّرَ إدْوارْد أنْ يَسْأَلَ أوَّلَ مَنْ يُصادِفُهُ.

مَرَّ قُرْبَهُ رَجُلٌ عَلى جَوادِهِ فَصاحَ: «أنا الأَميرُ إدْوارْد وأَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَأْخُذَني إلى القَصْرِ.» لٰكِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَسْمَعْهُ وظَنَّ أنَّهُ يَسْتَعْطي مالًا، فَتَجاهَلَهُ وأَكْمَلَ مَسيرَتَهُ.

ثُمَّ وَصَلَ إلى مَبْنًى يَعْرِفُهُ. إنَّهُ المَبْنى الّذي قَدَّمَهُ والِدُهُ المَلِكُ هنْري لِتُقامَ فيهِ مَدْرَسَةٌ لِلأَوْلادِ الفُقَراءِ. فَتَوَجَّهَ إلى المَدْرَسَةِ آمِلًا أَنْ يُساعِدَهُ أَحَدٌ هُناكَ.

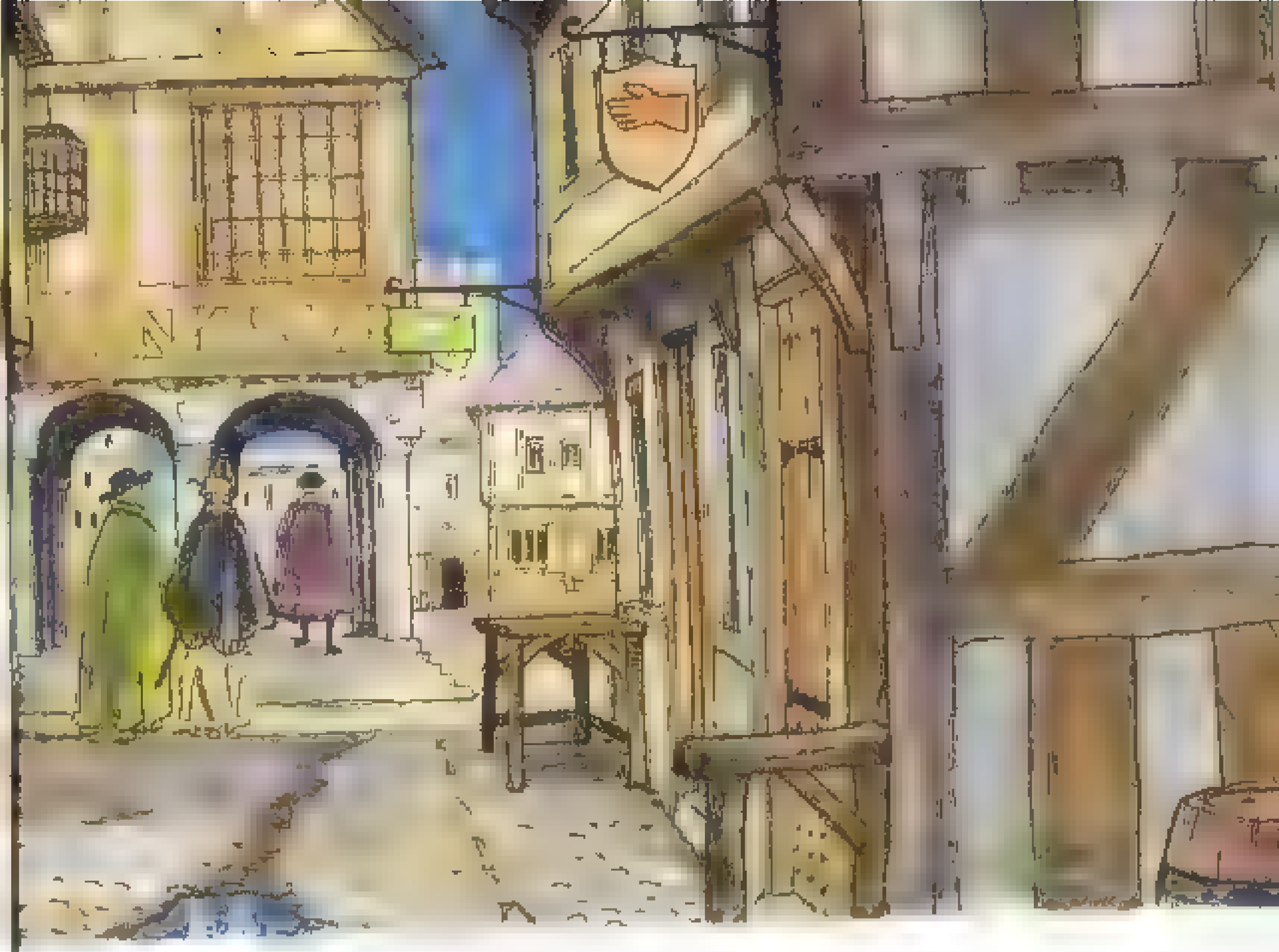
رَأى جَمْعًا مِنَ الأَوْلادِ يَلْعَبونَ أَمامَ المَبْنى فَنادَى أَحَدَهُمْ: «يا وَلَدُ! إذْهَبْ وأَحْضِرْ مُعَلِّمَكَ. قُلْ لَهُ إنَّ الأَميرَ إدْوارْد يَطْلُبُهُ حالًا.» فَقَهْقَهَ الوَلَدُ ضاحِكًا، لٰكِنَّ إدْوارْد غَضِبَ فَهَجَمَ عَلَيْهِ ثُمَّ ضَرَبَهُ وصاحَ: «إفْعَلْ ما أَمَرْتُكَ بِهِ.»

نادَى الصَّبِيُّ رِفاقَهُ وقالَ لَهُمْ: «هٰذا الوَلَدُ ضَرَبَني، وهُوَ مَجْنونٌ يَهْذي، فَلْنَرْمِهِ في الماءِ.»

فَهَجَمَ بِضْعَةُ أَوْلادٍ وحَمَلوهُ ورَمَوْهُ في حُفْرَةٍ مَليئَةٍ بِالمِياهِ القَذِرَةِ، ووَقَفوا يَضْحَكونَ ويَتَأَمَّلونَهُ وهُوَ يَخْرُجُ مِنَ الحُفْرَةِ هارِبًا لِيَبْتَعِدَ عَنْ هٰؤُلاءِ المُتَوَحِّشينَ الّذينَ لا يَعْرِفونَ أَميرَهُمْ!

لَمّا حَلَّ المَساءُ كانَ إدْوارْد لا يَزالُ تائِهًا، وفَكَّرَ في وَضْعِهِ البائِسِ وقالَ لِنَفْسِهِ: «عَلَيَّ أَنْ أَجِدَ مَكانًا أَنامُ فيهِ وسَأَعودُ غَدًا إلى القَصْرِ. يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ إلى بَيْتِ توم وأَنامَ هُناكَ. ولٰكِنْ أَيْنَ؟ آهْ.. تَذَكَّرْتُ.. لَقَدْ قالَ إنَّهُ في پودِنْغ لاين.»





أَخَذَ إدْوارْد يَسيرُ مِنْ زُقاقٍ إلى زُقاقٍ، وكانَ الظَّلامُ يَشْتَدُّ ولَمْ يَكُنِ النّورُ الباهِتُ المُتَسَرِّبُ مِنَ النَّوافِذِ لِيُنيرَ الظُّلْمَةَ حَوالَيْهِ. ثُمَّ أَحَسَّ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ تُمْسِكُهُ بِذِراعِهِ، وسَمِعَ صَوْتًا يَقولُ وَسَطَ الظَّلامِ: «لِماذا تَأَخَّرْتَ إلى هٰذا الوَقْتِ؟ أَجِبْ أَباكَ يا توم كانْتي، ماذا جَمَعْتَ لي مِنْ مالٍ اليَوْمَ؟»

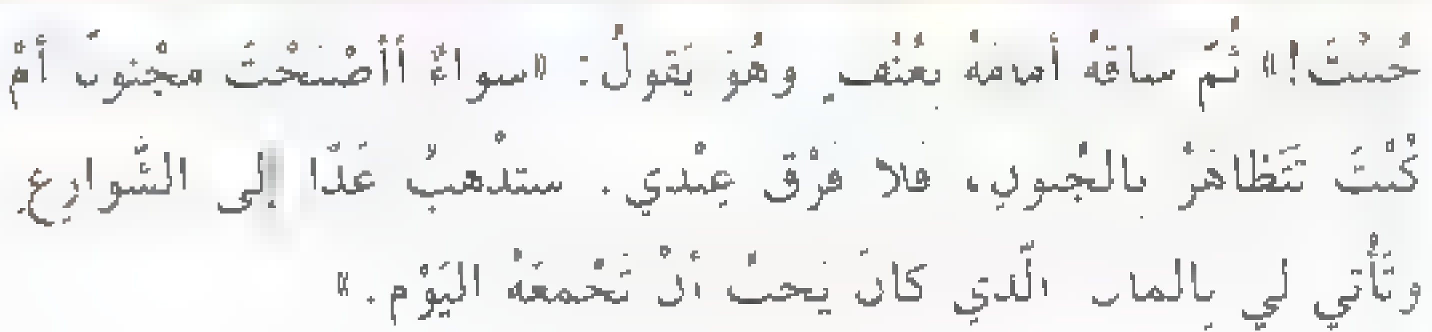
فَهَتَفَ إدْوارْد: «إذًا أَنْتَ والِدُهُ!»

– والِدُهُ؟ إنَّني والِدُكَ أَيُّها الأَحْمَقُ!

– لا لا، أَنا الأَميرُ. إنَّ ابْنَكَ في قَصْرِ وستْمِنْسْتَر. خُذْني إلى القَصْرِ وأَعِدْهُ إلى بَيْتِكُمْ.

نَظَرَ جون كانْتي إلى الصَّبِيِّ مُتَعَجِّبًا، وقالَ: «ماذا دَهاكَ؟ هَلْ





جُنِنْتَ!» ثُمَّ ساقَهُ أَمامَهُ بِعُنْفٍ وهُوَ يَقولُ: «سواءٌ أَأَصْبَحْتَ مَجْنونًا أَمْ كُنْتَ تَتَظاهَرُ بِالجُنونِ، فلا فَرْقَ عِنْدي. ستَذْهَبُ غَدًا إلى الشَّوارِعِ وتَأْتي لي بِالمالِ الَّذي كانَ يَجِبُ أَنْ تَجْمَعَهُ اليَوْمَ.»

توم في القَصْر

نَعودُ إلى قَصْرِ وستْمِنْسْتَر حَيْثُ كانَ توم وَحيدًا في غُرْفَةِ الأَميرِ. ظَلَّ واقِفًا مُدَّةً أَمامَ المِرْآةِ الكَبيرةِ، وهُوَ يُطيلُ النَّظَرَ إلى شَكْلِهِ في تِلْكَ الثِّيابِ الفاخِرةِ. ثُمَّ أَخَذَ يَذْرَعُ الغُرْفَةَ ذَهابًا وإيابًا مُتَأَمِّلًا. ووَضَعَ يَدَهُ على قَبْضَةِ السَّيْفِ المُتَدَلّي على جَنْبِهِ وسَحَبَهُ، وأَخَذَ يَتَحَرَّكُ كَأَنَّهُ يُبارِزُ شَخْصًا أَمامَهُ. ثُمَّ وَضَعَ السَّيْفَ في غِمْدِهِ وجَلَسَ مُفَكِّرًا: «يا لَها مِنْ قِصَّةٍ رائِعَةٍ! سَأُخْبِرُها بِالتَّفْصيلِ لِبيتي ونانا عِنْدَما أَعودُ.»

مَرّتْ ساعةٌ، فَسَمِعَ توم صَوْتَ جَرَسٍ يَدُقُّ وتَساءَلَ: «مَتى يَعودُ؟» ثُمَّ عادَ إلى المَشْيِ في أَرْجاءِ الغُرْفَةِ والنَّظَرِ إلى الأَشْياءِ الرّائِعَةِ الّتي تَحْويها.

أَعْجَبَهُ كُلُّ ما في الغُرْفَةِ مِنْ مَقاعِدَ وطاوِلاتٍ ولَوْحاتٍ مُعَلَّقَةٍ عَلى الحائِطِ وفيها صُوَرُ مُلوكٍ ومَلِكاتٍ وأُمَراءَ وأَميراتٍ بِأَفْخَرِ ثِيابِهِمْ وأَبْهى جواهِرِهِمْ، وتَراءَى لَهُ أَنَّهُمْ جَميعًا يَنْظُرونَ إِلَيْهِ ويَسْتَغْرِبونَ وُجودَهُ هُناكَ، فَأَحَسَّ بِالرَّهْبَةِ والغُرْبَةِ.

كانَ قُرْبَ البابِ دِرْعٌ، فَوَقَفَ توم يَتَأَمَّلُهُ. وهٰذا الدِّرْعُ عِبارَةٌ عَنْ حُلَّةٍ كامِلَةٍ مُصَفَّحَةٍ تُناسِبُ حَجْمَهُ. أَخَذَ توم القِطْعَةَ الخاصَّةَ بِاليَدِ ووَضَعَ يَدَهُ فيها. ثُمَّ أَخَذَ اليَدَ الأُخْرى، لٰكِنَّ شَيْئًا مُدَوَّرًا صَغيرَ الحَجْمِ ثَقيلَ الوَزْنِ تَدَحْرَجَ مِنْها. بَعْدَ ذٰلِكَ تَناوَلَ الأَجْزاءَ الأُخْرى ولَبِسَها ووَقَفَ أَمامَ المِرْآةِ مَزْهُوًّا.

وأَخيرًا أَعادَ كُلَّ شَيْءٍ إلى مَكانِهِ، ولَمْ يَعْرِفْ ما هُوَ هٰذا الشَّيْءُ الصَّغيرُ المُدَوَّرُ لٰكِنَّهُ وَضَعَهُ حَيْثُ كانَ داخِلَ اليَدِ.

مَرَّتْ ساعَةٌ أُخْرى ولَمْ يَعُدِ الأَميرُ، فَانْتابَ توم قَلَقٌ شَديدٌ وأَخذ يَتَساءَلُ:

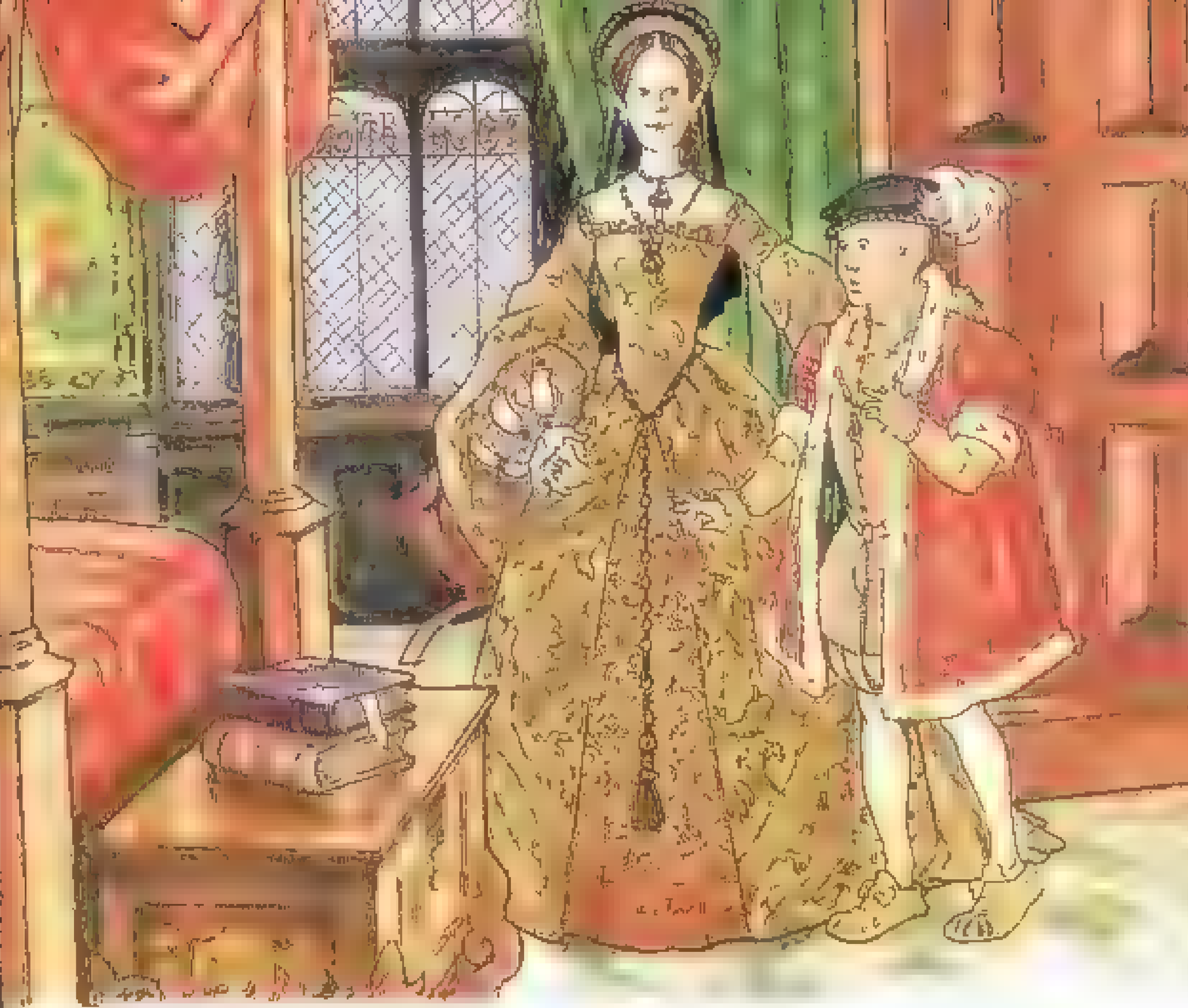
«ماذا يَحْدُثُ لَوْ جاءَ أَحَدٌ وسَأَلَني مَنْ أَنْتَ وماذا تَفْعَلُ هُنا؟ وإذا لَمْ يَكُنِ الأَميرُ مَعي لِيُخْبِرَهُمُ الحقيقَةَ فَإِنَّهُمْ لَنْ يُصَدِّقوني. فَماذا أَفْعَلُ؟ يَجِبُ أَنْ أَخْرُجَ مِنْ هُنا.»

اعْتَقَدَ توم أَنَّ بِإِمْكانِهِ الوُصولَ إلى البَوّابَةِ مِنْ دونِ أَنْ يَراهُ أَحَدٌ في

قَصْرِ. لٰكِنْ ما إنْ فَتَحَ بابَ الغُرْفَةِ حَتّى رَأى أَرْبَعَةَ رِجالٍ، اثْنانِ عَلى
كُلِّ جانِبٍ، يَنْحَنونَ احْتِرامًا لَهُ، فَصاحَ مَذْعورًا «لا لا»، وأَسْرَعَ إلى
الدّاخِلِ وأَقْفَلَ البابَ.

اسْتَغْرَبَ الرِّجالُ الأَمْرَ، وقالَ أَحَدُهُمْ: «أَظُنُّ أَنَّ الأَميرَ إدْوارْد
مَريضٌ»، فَوافَقَهُ الثّاني، أَمّا الثّالِثُ فَقالَ: «أَعْتَقِدُ أَنَّ عَلَيْنا إخْبارَ
إحْدى شَقيقاتِهِ.» فَانْبَرى الرّابِعُ قائِلًا: «الأَميرَةُ جين. سَأَذْهَبُ
وأُخْبِرُها بِالأَمْرِ.»





بَعْدَ قَليلٍ فُتِحَ بابُ الغُرْفَةِ، فَتَراجَعَ توم هَلِعًا. ولَمّا رَأى فتاةً جميلةً لَطيفَةً بِالبابِ رَكَعَ عَلى رُكْبَتَيْهِ مُضْطَرِبًا.

إنّها الأميرةُ اللّيدي جين الّتي هَتَفَتْ. «ما بالُكَ يا أخي العَزيز؟ لِماذا رَكَعْتَ؟»

فَصاحَ توم مُتَوَسِّلًا: «أَرْجوكِ ساعِديني. أنا لَسْتُ أخاكِ. لَسْتُ الأميرَ! إنّني صَبِيٌّ فَقيرٌ أُدْعَى توم كانْتي أَسْكُنُ في پودِنْغ لاين، وأُريدُ أنْ أعودَ إلى بَيْتي.»

أخذتِ الأميرةُ يَدَهُ وأَنْهَضَتْهُ وحاوَلَتْ أنْ تُلاطِفَهُ، فَقالَ لَها: «إسْتَدْعي الأميرَ واطْلُبي مِنْهُ أنْ يُعيدَ لي ثِيابي.»



فخاطَبَتْهُ الأميرةُ بِقَوْلِها: «هَيّا، إنَّ والِدَكَ يُريدُ أنْ يَراكَ.» فَصاحَ ..: «والِدي! هَلْ جون كانْتي هُنا؟» لٰكِنَّ اللّيدي جين لَمْ تُجِبْهُ إنّما ... في أَرْجاءِ القَصْرِ عَبْرَ قاعاتِهِ الفَسيحَةِ.

كانَ المَلِكُ قَدْ عَلِمَ بِأنَّ الأميرَ إدْوارْد مَريضٌ يَهْذي. بَلَغَ توم غُرْفَةَ ... رأى فيها سريرًا كبيرًا يَتَمَدَّدُ عَلَيْهِ رَجُلٌ بَدينٌ ذو وَجْهٍ أبْيَضَ مُسْتَدير. فَالمَلِكُ هنْري الثّامِنُ كانَ يُعاني مِنْ مَرَضٍ شَديدٍ يَكادُ يَقْضي عليه. قالَ المَلِكُ:

تعال يا إدْوارْد. أَخْبِرْ أباكَ المَلِكَ ما بِكَ.
هَلْ أنْتَ المَلِكُ؟
أَجَلْ أنا المَلِكُ، وأنا أبوكَ، فَمِمَّ أنْتَ خائِفٌ؟
يا سَيِّدي، أنا لَسْتُ ابْنَكَ الأميرَ. إنَّني توم الفَقيرُ.

رَمَقَهُ المَلِكُ بِنَظْرَةِ غَضَبٍ ساطِعٍ، وصاحَ بِصَوْتِهِ المُتَقَطِّعِ:

«كُفَّ عَنِ التَّفَوُّهِ بِمِثْلِ هٰذِهِ السَّخافاتِ. أَنْتَ الأَميرُ، وإذا قُلْتَ إنَّكَ لَسْتَ الأَميرَ فَسَأَغْضَبُ مِنْكَ. وأَنْتَ تَعْلَمُ ماذا أَفْعَلُ بِالَّذينَ يُثيرونَ غَضَبي.»

أَحَسَّ توم بالرَّهْبَةِ والهَلَعِ، وقالَ. «أَجَلْ يا سَيِّدي.» فَقالَ المَلِكُ: «اِنْصَرِفِ الآنَ. ولا تَعُدْ إلى مِثْلِ هٰذِهِ الأَقْوالِ. لَقَدْ كُنْتَ تَقْرَأُ كُتُبًا كَثيرةً أَثَّرَتْ عَلى عَقْلِكَ... يا لورْد هرتْفورْد، رافِقِ الأَميرَ واحْرِصْ عَلى جَعْلِهِ يَسْتَريحُ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَكونَ اللَّيْلَةَ في الوَليمَةِ الكُبْرى حَيْثُ



سَيأْتي عُظَماءُ البِلادِ لِيَرَوْا أميرَهُمُ الّذي سَيُصْبِحُ مَلِكًا، ثُمَّ عُدْ إلَيَّ.»

أُخِذَ توم إلى غُرْفَةِ الأَميرِ. ثُمَّ عادَ اللّورْد هرتْفورْد إلى غُرْفَةِ المَلِكِ هنْري، وانْحَنى أمامَ سَريرِهِ قائِلًا: «إنَّ سُمُوَّ الأَميرِ يَرْتاحُ الآنَ يا صاحِبَ الجَلالَةِ.»

قالَ المَلِكُ: «اِسْمَعْ يا لورْد هرتْفورْد أَعْلَمُ أَنَّ أيّامي مَعْدودَةٌ، لٰكِنَّ أُمورَ المَمْلَكَةِ يَجِبُ أَنْ تَسْتَمِرَّ، هُناكَ أوامِرُ يَجِبُ أَنْ تَصْدُرَ وقَوانينُ يَجِبُ أَنْ تُقَرَّ، حَتّى ولَوْ كان مُجَرَّدُ وَضْعِ تَوْقيعي وخَتْمي سَيُتْعِبُني، يَجِبُ أَنْ تُساعِدَني في طَبْعِ واسْتِعْمالِ الخَتْمِ المَلَكِيِّ.»

أَجابَ اللّورْد هرتْفورْد: «أَمْرُكُمْ مُطاعٌ يا مَوْلايَ.» فَأَصْدَرَ المَلِكُ إلَيْهِ أَمْرَهُ: «اِذْهَبْ وأَحْضِرِ الخَتْمَ المَلَكِيَّ الّذي أَمَرْتُكَ بِإعْطائِهِ لِلأَميرِ إدْوارْد مُنْذُ يَوْمَيْنِ.»

خَرَجَ اللّورْد هرتْفورْد، ثُمَّ عادَ بَعْدَ قَليلٍ خائِبًا، وقالَ مُتَلَعْثِمًا: «يا صاحِبَ الجَلالَةِ، إنَّ سُمُوَّ الأَميرِ لا يَعْرِفُ أَيْنَ الخَتْمُ.»

- مُسْتَحيلٌ! هَلْ قالَ ذٰلِكَ بِنَفْسِهِ؟
- أَجَلْ يا مَوْلايَ.
- أَلا يَتَذَكَّرُ ماذا فَعَلَ بِهِ؟
- كَلّا يا مَوْلايَ.
- إنَّهُ مَريضٌ، لِذٰلِكَ لا يَتَذَكَّرُ شَيْئًا الآنَ.
- هٰذا هُوَ السَّبَبُ يا صاحِبَ الجَلالَةِ.
- حَسَنًا، فَلْنَنْتَظِرْ حَتّى يَتَحَسَّنَ ويَتَذَكَّرَ.

المَرْكَب المَلَكِيّ

كانَ هُناكَ دَرَجٌ طَويلٌ يَنْزِلُ مِنْ قَصْرِ وستمنِسْتر إلى ضِفَّةِ النَّهرِ، حَيْثُ كانَ يَرْسو المَرْكَبُ المَلَكِيُّ العَظيمُ المُخَصَّصُ لاسْتِعْمالِ جَلالَةِ المَلِكِ. وقَدْ وَقَفَ، في ذٰلِكَ المَساءِ، عَدَدٌ مِنَ الجُنودِ على جانِبَيِ الدَّرَجِ بِأَبْهى ثِيابِهِمْ وكامِلِ سِلاحِهِمْ بِانْتِظارِ مُرورِ الأَميرِ.

فُتِحَتِ الأَبْوابُ وصَدَرَ أَمْرُ التَّأَهُّبِ، فَانْتَصَبَ الجُنودُ بِلا حَراكٍ، ثُمَّ خَرَجَ اللّورْد هرتفورْد وكِبارُ النُّبَلاءِ، وانْقَسَموا إلى مَجْموعَتَيْنِ عَلى الجانِبَيْنِ. بَعْدَ قَليلٍ حَنَى الرِّجالُ رُؤوسَهُمْ لَمّا ظَهَر توم بِالبابِ وهُوَ يَرْفُلُ في رِداءٍ أَبْيَضَ بَهِيٍّ. وَقَفَ توم يَنْظُرُ بِتَحَسُّرٍ إلى النَّهْرِ حَيْثُ كانَ، حَتَّى الأَمْسِ القَريبِ، يَلْهو ويَسْبَحُ، أَمّا الآنَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَكونَ الأَميرَ. فَنَزَلَ بِخُطًى بَطيئَةٍ وصَعِدَ إلى مَتْنِ المَرْكَبِ المَلَكِيِّ.

عد المَرْكَبُ عَنْ مَرْساهُ وأَخَذَ يَتَهادَى عَبْرَ النَّهْرِ نَحْوَ دارِ البَلَدِيَّةِ تُقامُ الوليمةُ الكُبْرى. في هذِهِ الأَثْناءِ كانَ كِبارُ نُبَلاءِ لَنْدن بها داخِلَ القاعَةِ الكُبْرى في مَبْنى البَلَدِيَّةِ يَجْلِسونَ إلى المَوائِدِ رة بِانْتِظارِ قُدومِ أَميرِهِمْ.

ر إدْوارْد

جون كانَتْ يَسوقُ إدْوارْد عَبْرَ الأَزِقَّةِ نَحْوَ بَيْتِهِ في بودنغ لاين





ظانًّا أَنَّهُ ابْنُهُ، فيما كانَ جَمْعٌ مِنَ النّاسِ يَتْبَعُهُما. كانَ بَعْضُهُمْ يُراقِبُهُما ويَضْحَكُ، وبَعْضُهُمُ الآخَرُ يُسْمِعُ جون عِباراتِ الاسْتِحْسانِ لِعَمَلِهِ الّذي يَدُلُّ على حُسْنِ تَرْبِيَتِهِ لِوَلَدِهِ العاصي!

قَبْلَ بُلوغِ البَيْتِ، انْدَفَعَ رَجُلٌ عَجوزٌ نَحْوَ جون كانْتي وصاحَ بِهِ:

«حَرامٌ عَلَيْكَ! دَعِ الصَّبِيَّ المِسْكينَ.» فَثارَ كانْتي وأَجابَهُ: «لا تَتَدَخَّلْ فيما لا يَعْنيكَ»، وضَرَبَهُ على رَأْسِهِ بِهِراوَةٍ كانَتْ مَعَهُ، فَوَقَعَ الرَّجُلُ أَرْضًا وداسَهُ النّاسُ وهُمْ يُلاحِقونَ جون. ولَمْ يُلاحِظْ أَحَدٌ أَنَّ العَجوزَ المِسْكينَ ظَلَّ عَلى الأَرْضِ ساكِنًا.

دَفَعَ جون كانْتي بابَ غُرْفَتِهِ بِعُنْفٍ وصاحَ بِزَوْجَتِهِ: «تَعالَيْ يا امْرَأَةُ. إِنَّ ابْنَكِ لَمْ يَجْنِ اليَوْمَ شَيْئًا مِنَ المالِ، وهُوَ أَيْضًا مُصابٌ بِالهَذَيانِ.»

اِنْدَفَعَتِ الأُمُّ المِسْكينَةُ نَحْوَ إِدْوارْد وقالَتْ: «يا وَلَدي الحَبيبَ، لِمَ أَغْضَبْتَ أَباكَ؟» فَدَنا مِنْها جون وأَبْعَدَها عَنِ الصَّبِيِّ، ثُمَّ رَماهُ أَرْضًا.

كانَ جون يَهُمُّ بِضَرْبِ إِدْوارْد عِنْدَما سَمِعَ البابَ يُقْرَعُ، فَسَأَلَ: «مَنْ بِالبابِ؟» وجاءَهُ الجَوابُ: «اِفْتَحْ بِسُرْعَةٍ يا جون، أَنا صَديقُكَ بيد.»

فَتَحَ جون البابَ وسَأَلَ صَديقَهُ: «ما الأَمْرُ؟» فَأَجابَهُ: «لَقَدْ ضَرَبْتَ رَجُلًا عَجوزًا في الطَّريقِ و...» قاطَعَهُ جون قائِلًا: «أَجَلْ أَجَلْ. لَقَدْ حاوَلَ أَنْ يَأْخُذَ ابْني مِنّي.» فَأَكْمَلَ الرَّجُلُ كَلامَهُ: «أَنْتَ ضَرَبْتَ الأَبَ أَنْدرو... لَقَدْ ماتَ! لَقَدْ قَتَلْتَهُ يا جون.. عَلَيْكَ أَنْ تَخْتَفِيَ عَنِ الأَنْظارِ.» ثُمَّ تَوارَى الرَّجُلُ.

هَبَّ جون كانْتي مَذْعورًا وقالَ لِزَوْجَتِهِ: «إِنَّني في وَضْعٍ سَيِّئٍ لِلغايَةِ. لَقَدْ رَآني جَمْعٌ كَبيرٌ مِنَ النّاسِ وأَنا أَضْرِبُهُ عَلى رَأْسِهِ، وإِذا أَخْبَروا القاضِيَ فَسَيَكونُ مَصيري الإِعْدامَ... عَلَيْنا أَنْ نُغادِرَ البَيْتَ. خُذي أُمّي والابْنَتَيْنِ وسَأَنْتَظِرُكُمْ قُرْبَ جِسْرِ لَنْدَن. سَأَذْهَبُ أَنا وتوم مِنْ طَريقٍ أُخْرى.»



خَرَجَ جون مُمْسِكًا بِيَدِ إِدْوارْد، وقادَهُ عَبْرَ أَزِقَّةٍ ضَيِّقَةٍ مُعْتِمَةٍ إِلى أَنْ وَصَلا قُرْبَ النَّهْرِ. فَرَأَيا حَشْدًا كَبيرًا مِنَ النّاسِ يَنْظُرونَ ناحِيَةَ النَّهْرِ حَيْثُ كانَتِ الأَنْوارُ المُلَوَّنَةُ والنّيرانُ المُضيئَةُ تُشِعُّ عَلى ضِفَّتَيْهِ. وكانَ جَمْعٌ مِنَ الرِّجالِ يَجْلِسونَ إِلى طاوِلاتٍ يَحْتَسونَ شَرابًا

سَأَلَ جون كانْتي أَحَدَ الجالِسينَ: «ماذا يَجْري؟ ماذا يَنْتَظِرُ كُلُّ هؤُلاءِ؟» فَأَجابَ الرَّجُلُ: «إِنَّنا نَنْتَظِرُ مُرورَ الأَميرِ إِدْوارْد في المَرْكَبِ المَلَكِيِّ، لِنَراهُ وهُوَ ذاهِبٌ إِلى الوَليمَةِ الكُبْرى في مَبْنى البَلَدِيَّةِ. خُذْ هٰذا واشْرَبْ مَعَنا واهْتِفْ مِثْلَنا: عاشَ الأَميرُ إِدْوارْد!».

أَفْلَتَ كانْتي يَدَ إِدْوارْد ومَدَّ يَدَيْهِ الاثْنَتَيْنِ لِيَأْخُذَ وِعاءَ الشَّرابِ الكَبيرَ فَانْطَلَقَ إِدْوارْد هارِبًا مُتَسَلِّلًا بَيْنَ أَرْجُلِ النّاسِ.

صاحَ كانْتي: «أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ أَمْسِكوهُ. أَيْنَ أَنْتَ أَيُّها اللَّعينُ.» لٰكِنَّهُ أَضاعَ أَثَرَهُ بَيْنَ تِلْكَ الجُموعِ الغَفيرَةِ.

وهٰكَذا تَحَرَّرَ إِدْوارْد وانْطَلَقَ يَعْدو وهَدَفُهُ الوُصولُ إِلى مَبْنى البَلَدِيَّةِ. كانَ يُمَنّي نَفْسَهُ بِالقَوْلِ: «سَأَجِدُ توم هُناكَ وتَتَوَضَّحُ الحَقيقَةُ.»

في دار البَلَدِيَّة

جَلَسَ حَوْلَ المَوائِدِ الكُبْرى، في دارِ البَلَدِيَّةِ، أَغْنى أَغْنياءِ لَنْدن وكِبارُ رِجالِها. دَخَلَ توم القاعَةَ فَوَقَفَ جَميعُ الحُضورِ. جَلَسَ في المَقْعَدِ المُخَصَّصِ لَهُ عَلى رَأْسِ المائِدَةِ الأُولى، فَجَلَسوا.

بَعْدَ قَليلٍ جاءَ الخَدَمُ مُهَرْوِلينَ ومَلَؤوا المَوائِدَ بِأَفْخَرِ أَطْباقِ الطَّعامِ وأَشْهاها، فَراحَ المَدْعُوّونَ يَأْكُلونَ ويَتَجاذَبونَ أَطْرافَ الحَديثِ فيما كانَ المُغَنّونَ يُنْشِدونَ أَحْلى الأَغاني والرّاقِصونَ يَتَمايَلونَ.

وَصَلَ إِدْوارْد إِلى خارِجِ المَبْنى فَرَأى عَدَدًا مِنَ الجُنودِ يَقِفونَ أَمامَ المَدْخَلِ، فَصاحَ بِأَعْلى صَوْتِهِ: «أَنا الأَميرُ إِدْوارْد. اِفْتَحوا البابَ.. أُريدُ أَنْ أَدْخُلَ.» غَرِقَ الجُنودُ في الضَّحِكِ، فَكَرَّرَ أَوامِرَهُ. «هَيّا نَفِّذوا الأَمْرَ في الحالِ. اِفْتَحوا البابَ!» فَنَهَرَهُ أَحَدُ الجُنودِ بِقَوْلِهِ: «أُصْمُتْ وارْجِعْ إِلى الوَراءِ وإِلّا...»

لَمْ يَصْمُتْ إدْوارْد إنَّما تابَعَ صُراخَهُ وأوامِرَهُ لِلجُنودِ، فانْزَعَجَ جُمْهورُ المُحْتَشِدينَ هُناكَ وراحوا يَتَذَمَّرونَ: «إنْصَرِفْ يا صَبِيُّ... أبْعِدوهُ عَنِ البَوّابَةِ... إنَّهُ مَجْنونٌ... نُريدُ أنْ نَرى الأميرَ عِنْدَ خُروجِهِ... عُدْ إلى بَيْتِكَ يا وَلَدُ...»

وَقَفَ إدْوارْد بِعِنادٍ أمامَ ذٰلِكَ الجَمْعِ الغاضِبِ وقالَ: «لَنْ أذْهَبَ. أنا الأميرُ إدْوارْد.. صَدِّقوني، إنّي أقولُ الحَقيقَةَ.» عِنْدَها ازْدادَ هِياجُ



النّاسِ واقْتَرَبَ بَعْضُهُمْ مِنْ إدْوارْد وقَدْ تَمَلَّكَهُمُ الغَضَبُ، لٰكِنَّ إدْوارْد لَمْ يُحَرِّكْ ساكِنًا وظَلَّ في مَكانِهِ غَيْرَ عابِئٍ بِالخَطَرِ المُحْدِقِ بِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُدْرِكُ مَدى الأَذى الّذي قَدْ تُسَبِّبُهُ جَماهيرُ لَنْدن الغاضِبَةُ.

بَرَزَ فَجْأَةً رَجُلٌ وَقَفَ بِجانِبِ إدْوارْد وقالَ: «أنا سَأَحْميكَ. لَسْتُ أَدْري إنْ كُنْتَ أَميرًا أَوْ لا، وسَواءٌ أَكُنْتَ عاقِلًا أَمْ مَجْنونًا فَإِنَّكَ شُجاعٌ وسَأُساعِدُكَ» كانَ اسْمُ هٰذا الرَّجُلِ الجَسورِ مايلْز هنْدون، وكانَ عائِدًا مِنَ الحَرْبِ وهُوَ في طَريقِهِ إلى بَيْتِهِ في الرِّيفِ.

لَمّا دَنا النّاسُ مِنْ إدْوارْد ومايلْز، زَمْجَرَ هٰذا الأَخيرُ وصاحَ بِهِمْ: «تَراجَعوا! هَيّا.» لٰكِنَّهُمْ واصَلوا زَحْفَهُمُ الأَعْمى. فَسَحَبَ سَيْفَهُ مِنْ غِمْدِهِ وضَرَبَ أَحَدَ المُهاجِمينَ بِجانِبِهِ.

عِنْدَها صَدَرَ صَوْتٌ مِنْ مُؤَخَّرَةِ المَجْموعَةِ: «فَلْنَقْضِ عَلَيْهِما!» وبَدَأَتِ الحِجارَةُ تَنْهالُ عَلَيْهِما، وقَدْ أَصابَ أَحَدُها إدْوارْد فَوَقَعَ أَرْضًا. لٰكِنَّ مايلْز وَقَفَ أَمامَهُ يُجابِهُ كُلَّ مَنْ يَقْتَرِبُ لِأَنَّهُ أَرادَ أَنْ يَمْنَعَ المُشاغِبينَ مِنْ أَنْ يَدوسوا إدْوارْد بِأَرْجُلِهِمْ. وبِالرَّغْمِ مِنْ صُعوبَةِ المَوْقِفِ كانَ مايلْز يُقاتِلُ بِشَجاعَةٍ فائِقَةٍ باسِمَ الثَّغْرِ هازِئًا بِالخَطَرِ، وقَدْ قالَ: «لَقَدْ حارَبْتُ في فَرَنْسا سَبْعَ سَنَواتٍ ونَجَوْتُ، فَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ أَموتَ هُنا بَيْنَ أَرْجُلِ جَماهيرِ لَنْدن؟؟»

في خِضَمِّ المَعْرَكَةِ، سُمِعَ وَقْعُ جِيادٍ وصَرْخَةٌ مُدَوِّيَةٌ: «أَفْسِحوا المَكانَ لِيَمُرَّ كَبيرُ النُّبَلاءِ.» فَتَفَرَّقَ النّاسُ وتَراجَعوا إلى جانِبَيِ البَوّابَةِ الّتي فُتِحَتْ لِيَدْخُلَ المَوْكِبُ مِنْها. فَما كانَ مِنْ مايلْز إلّا أَنْ أَمْسَكَ يَدَ إدْوارْد وانْطَلَقَ بِهِ بَعيدًا.

تَرَجَّلَ اللّورْد هرتْفورْد مِنْ مَوْكِبِهِ ودَخَلَ القاعَةَ مُتَوَجِّهًا بِسُرْعَةٍ نَحْو توم، وانْحَنى أَمامَهُ راكِعًا ثُمَّ قالَ: «مَوْلايَ، لَقَدْ تُوُفّيَ والِدُكُمُ المَلِكُ!» ووَقَفَ واسْتَدارَ نَحْوَ جُمْهورِ المُحْتَشِدينَ في القاعَةِ وصاحَ بِأَعْلى صوْتِهِ: «لَقَدْ ماتَ المَلِكُ هنْري. عاشَ المَلِكُ إدْوارْد!» فَهَتَفوا مَعًا بِصَوْتٍ هادِرٍ: «عاشَ مَلِكُنا إدْوارْد.»

في الفُنْدُق

اِبْتَعدَ مايلْز وإدْوارْد عَنْ خَطَرِ الجُمْهورِ السّاخِطِ، وأَخَذا يَمُرّانِ مِنْ شارِعٍ إلى آخر مُتَجِهَيْنِ نَحْوَ الفُنْدُقِ الّذي يَنْزِلُ فيهِ مايلْز. وقَدْ سَمِعا صَوْتَ هُتافٍ بَعيدًا، ثُمَّ أَخَذَ الصَّوْتُ يَقْتَرِبُ، وكانَ صادِرًا عَنْ حَشْدٍ مِنَ الشَّعْبِ يُنادي: «ماتَ المَلِكُ هنْري. عاشَ المَلِكُ إدْوارْد.»

تَوَقَّفَ إدْوارْد عَنِ المَسيرِ وجَمَدَ في مَكانِهِ. فسَأَلَهُ مايلْز: «ما بِكَ؟» قال إدْوارْد: «لَقَدْ أَصْبَحْتُ المَلِكَ الآنَ.»

أَجابَهُ مايلْز: «أَميرًا كُنْتَ أَوْ مَلِكًا سأُدافِعُ عَنْكَ لأَنَّكَ شُجاعٌ. فَلْنَذْهَبِ الآنَ إلى غُرْفَتي بِالفُنْدُقِ قُرْبَ جِسْرِ لَنْدن لِنَرْتاحَ قليلًا ونَتَناوَلَ الطَّعامَ. إنَّنا بِحاجَةٍ إلَيْهِ بَعْدَ تِلْكَ المَعْرَكَةِ. هَيّا!»

كانَ إدْوارْد ومايلْز يقْتَرِبانِ مِنَ الفُنْدُقِ حينَ سَمِعا صَوْتًا يَقولُ: «لَقَدْ جِئْتَ أَخيرًا!» إنَّهُ والِدُ توم، جون كانْتي، الّذي بَرَزَ فَجْأَةً أَمامَهُما وخاطَبَ إدْوارْد بِقَوْلِهِ: «سأَضْرِبُكَ ضَرْبًا مُبَرِّحًا لِتَأَخُّرِكَ.» ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ لِيُمْسِكَ بِهِ.

وَقَفَ مايلْز هنْدون أمامَ إدْوارْد وواجَهَ كانْتي قائِلًا: «مَنْ أَنْتَ؟ وماذا تُريدُ مِنْ هٰذا الصَّبِيِّ؟» فَأَجابَهُ: «إِنَّهُ ابْني.»

هَبَّ إدْوارْد مُعْتَرِضًا: «كَلّا. إِنَّهُ كَذّابٌ.» وسَأَلَهُ مايلْز: «هَلْ تُريدُ أَنْ تَذْهَبَ مَعَ هٰذا الرَّجُلِ؟» فَصاحَ: «كَلّا، إِنَّهُ لَيْسَ أَبي، ولا أُريدُ أَنْ أَكونَ مَعَهُ.» طَمْأَنَهُ مايلْز بِقَوْلِهِ: «إِذًا لَنْ يَأْخُذَكَ مِنّي.»

لٰكِنَّ جون كانْتي لَمْ يُعْجِبْهُ هٰذا الكَلامُ فَتَقَدَّمَ مِنْ إدْوارْد يُريدُ إِمْساكَهُ، فَما كانَ مِنْ مايلْز إِلّا أَنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلى قَبْضَةِ سَيْفِهِ وزَمْجَرَ مُهَدِّدًا: «إِيّاكَ أَنْ تَتَقَدَّمَ خُطْوَةً واحِدَةً، وإِلّا قَتَلْتُكَ بِهٰذا السَّيْفِ.. أُغْرُبْ عَنّي!»

فَخافَ كانْتي وأَدارَ ظَهْرَهُ ومَشى بَعيدًا.



وَصَلَ إِدْوارْد مَعَ مايلْز إِلى فُنْدُقٍ صَغيرٍ، وصَعِدا إِلى الطَّبَقَةِ العُلْيا، ودَخَلا غُرْفَةً صَغيرَةً فيها سَريرٌ واحِدٌ وكُرْسِيّانِ وطاوِلَةٌ ومَغْسَلَةٌ.

اِرْتَمى إِدْوارْد عَلى السَّريرِ مُنْهَكًا وقالَ لِمايلْز بِلَهْجَةٍ آمِرَةٍ: «نادِني عِنْدَما يَحْضُرُ الطَّعامُ.» فَانْفَجَرَ مايلْز ضاحِكًا وقالَ: «سَمْعًا وطاعَةً يا مَوْلايَ الأَميرَ. نَمْ هَنيئًا الآنَ، وسَآمُرُ الخَدَمَ بِتَحْضيرِ وَليمَةٍ لَكَ.»

نَزَلَ مايلْز إِلى المَطْبَخِ وأَحْضَرَ بَعْضَ أَطْباقِ الطَّعامِ. وبَعْدَ أَنْ وَضَعَها عَلى الطّاوِلَةِ نادَى إِدْوارْد قائِلًا:

- إِنَّ المائِدَةَ جاهِزَةٌ يا مَوْلايَ.
- شُكْرًا لَكَ.
- تَفَضَّلْ وتَناوَلْ طَعامَكَ.
- يَجِبُ أَنْ أَغْسِلَ يَدَيَّ أَوَّلًا.

غَسَلَ إِدْوارْد يَدَيْهِ وجَلَسَ إِلى الطّاوِلَةِ. ولَمّا هَمَّ مايلْز بِالجُلوسِ نَهَرَهُ إِدْوارْد: «تَمَهَّلْ. يَجِبُ أَنْ تَظَلَّ واقِفًا حَتّى يَأْذَنَ لَكَ المَلِكُ.. اَلْآنَ يُمْكِنُكَ الجُلوسُ.»

فيما كانَ يَتَناوَلانِ الطَّعامَ تَوَجَّهَ إِدْوارْد إِلى مايلْز بِالسُّؤالِ: «أَنا لا أَعْرِفُ شَيْئًا عَنْكَ. فَمَنْ أَنْتَ؟» أَجابَ مايلْز. «أَنا مايلْز هِنْدون. كُنْتُ أَعيشُ في قَصْري «هِنْدون هُول» الَّذي يَقَعُ في مِنْطَقَةٍ ريفِيَّةٍ جَميلَةٍ، وكُنْتُ سَأَتَزَوَّجُ مِنَ اللَّيْدي إِديث. لٰكِنَّ أَخي الأَصْغَرَ آرْثر حاكَ مُؤامَرَةً ضِدّي، فَاخْتَلَقَ خَبَرَ مَوْتي مُسْتَغِلًّا غِيابي خارِجَ إِنكِلْترا. لَقَدْ حارَبْتُ في فَرَنْسا مُدَّةَ سَبْعِ سَنَواتٍ، ولا أَعْتَقِدُ أَنَّ أَخي سَيُرَحِّبُ بِعَوْدَتي بَعْدَ



هٰذِهِ المُدَّةِ الطَّوِيلَةِ.» فَوَقَفَ إِدْوارْد وهَتَفَ: «سَأُصْدِرُ أَمْرًا لِأَخيكَ بِإِعادَةِ أَمْلاكِكَ إِلَيْكَ. ثُمَّ إِنَّكَ مَدَدْتَ يَدَ العَوْنِ لِمَلِكِكَ، لِذٰلِكَ تَسْتَحِقُّ ما هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذٰلِكَ. سَأَخْلَعُ عَلَيْكَ لَقَبَ لورْد.. هاتِ سَيْفَكَ وانْزِلْ عَلى رُكْبَتَيْكَ.»

قامَ مايلْز عَنْ كُرْسِيِّهِ ورَكَعَ، فَوَضَعَ إِدْوارْد السَّيْفَ عَلى كَتِفِهِ ثُمَّ قالَ لَهُ: «اِنْهَضْ يا سير مايلْز.» اِنْتَصَبَ مايلْز مُبْتَسِمًا وتَساءَلَ: «لَقَدْ أَصْبَحْتُ الآنَ السِّير مايلْز؟» أَجابَهُ إِدْوارْد: «أَجَلْ، أَنْتَ الآنَ السِّير مايلْز هِنْدون. وقَدْ عَيَّنْتُكَ واحِدًا مِنْ رِجالي.»

بَعْدَ ذٰلِكَ اسْتَأْنَفا تَناوُلَ الطَّعامِ. ثُمَّ وَضَعَ إدْوارْد يَدَيْهِ ورَأْسَهُ عَلى الطّاوِلَةِ وقَدْ غَلَبَهُ النُّعاسُ. رَآهُ مايلْز في هٰذِهِ الحالِ فَأَشْفَقَ عَلَيْهِ وقالَ في نَفْسِهِ: «أَيُّها الصَّبِيُّ المِسْكينُ! هَلْ سَتَعودُ إلى رُشْدِكَ بَعْدَ أَنْ تَنامَ وتَرْتاحَ؟ آمُلُ أَنْ تَكُفَّ عَنِ الهَذَيانِ والقَوْلِ إِنَّكَ أَميرٌ أَوْ مَلِكٌ.»

ثُمَّ قامَ وحَمَلَهُ عَنِ الكُرْسِيِّ – وهُوَ نائِمٌ - ووَضَعَهُ عَلى السَّريرِ، ونامَ هُوَ عَلى الأَرْضِ.

عِنْدَما اسْتَيْقَظَ مايلْز في الصَّباحِ، نَظَرَ إلى السَّريرِ فَرَأى أَنَّ إدْوارْد لا يَزالُ نائِمًا، وتَنَبَّهَ إلى أَنَّ ثِيابَهُ كانَتْ قَذِرَةً ومُمَزَّقَةً، فَقَرَّرَ أَنْ يَذْهَبَ لِشِراءِ ثِيابٍ جَديدَةٍ لَهُ قَبْلَ أَنْ يُفيقَ.

عادَ مايلْز بَعْدَ حَوالَى ساعَةٍ حامِلًا الثِّيابَ الجَديدَةَ الَّتي اشْتَراها. لٰكِنَّهُ، عِنْدَما دَخَلَ الغُرْفَةَ، فُوجِئَ بِأَنَّ إدْوارْد لَمْ يَكُنْ هُناكَ.

نَزَلَ مايلْز مُسْرِعًا وسَأَلَ خادِمَ الفُنْدُقِ: «أَيْنَ الصَّبِيُّ؟» فَأَجابَهُ: «جاءَ فَتًى اسْمُهُ هوغو، وطَلَبَ مِنّي أَنْ أُخْبِرَ الصَّبِيَّ بِوُجوبِ مُلاقاةِ مايلْز هِنْدون عِنْدَ الجِسْرِ جَنوبِيَّ لَنْدن. وقَدْ فَعَلْتُ ذٰلِكَ، وذَهَبَ الصَّبِيُّ!»

خاطَبَ مايلْز نَفْسَهُ: «لا بُدَّ أَنْ يَكونَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ اللَّعينُ وَراءَ هٰذا الأَمْرِ. مِنَ المُؤَكَّدِ أَنَّهُ مَنْ أَرْسَلَ هٰذا المَدْعُوَّ هوغو.. عَلَيَّ أَنْ أَجِدَ الصَّبِيَّ.»

جَمَعَ مايلْز أَغْراضَهُ ودَفَعَ حِسابَهُ وانْطَلَقَ في مُهِمَّتِهِ الصَّعْبَةِ تِلْكَ، ولَمْ يَكُنْ يَدْري مِنْ أَيْنَ يَبْدَأُ بَحْثَهُ.



في قَصْر وستْمنِسْتر

كانَ توم في ذٰلِكَ الصَّباحِ نائِمًا في قَصْر وستْمنِسْتر، فَدَخَلَ سَيِّدانِ ووَقَفا قُرْبَ سَريرِه. تَقَدَّمَ الأَوَّلُ ونَبَّهَهُ قائِلًا: «يا صاحِبَ الجَلالَةِ!» وانْحَنَى الثّاني وقالَ: «إنَّها الثّامِنَةُ يا مَوْلانا المَلِكَ.»

ظَنَّ توم، بادِئَ الأَمْرِ، أَنَّهُ على أَرْضِ الغُرْفَةِ في پودِنْغ لاين وأَنَّ أُمَّهُ تُناديهِ لِيَنْهَضَ. لٰكِنَّهُ، بَعْدَ أَنْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ ورَأَى الرَّجُلَيْنِ، تَذَكَّرَ أَيْنَ هُوَ. ثُمَّ سَمِعَ أَحَدَهُما يُخاطِبُهُ: «صاحِبَ الجَلالَةِ!»

-ماذا تُريدُ؟

هَلْ تَوَدّونَ مُغادَرَةَ الفِراشِ يا صاحِبَ الجَلالَةِ؟

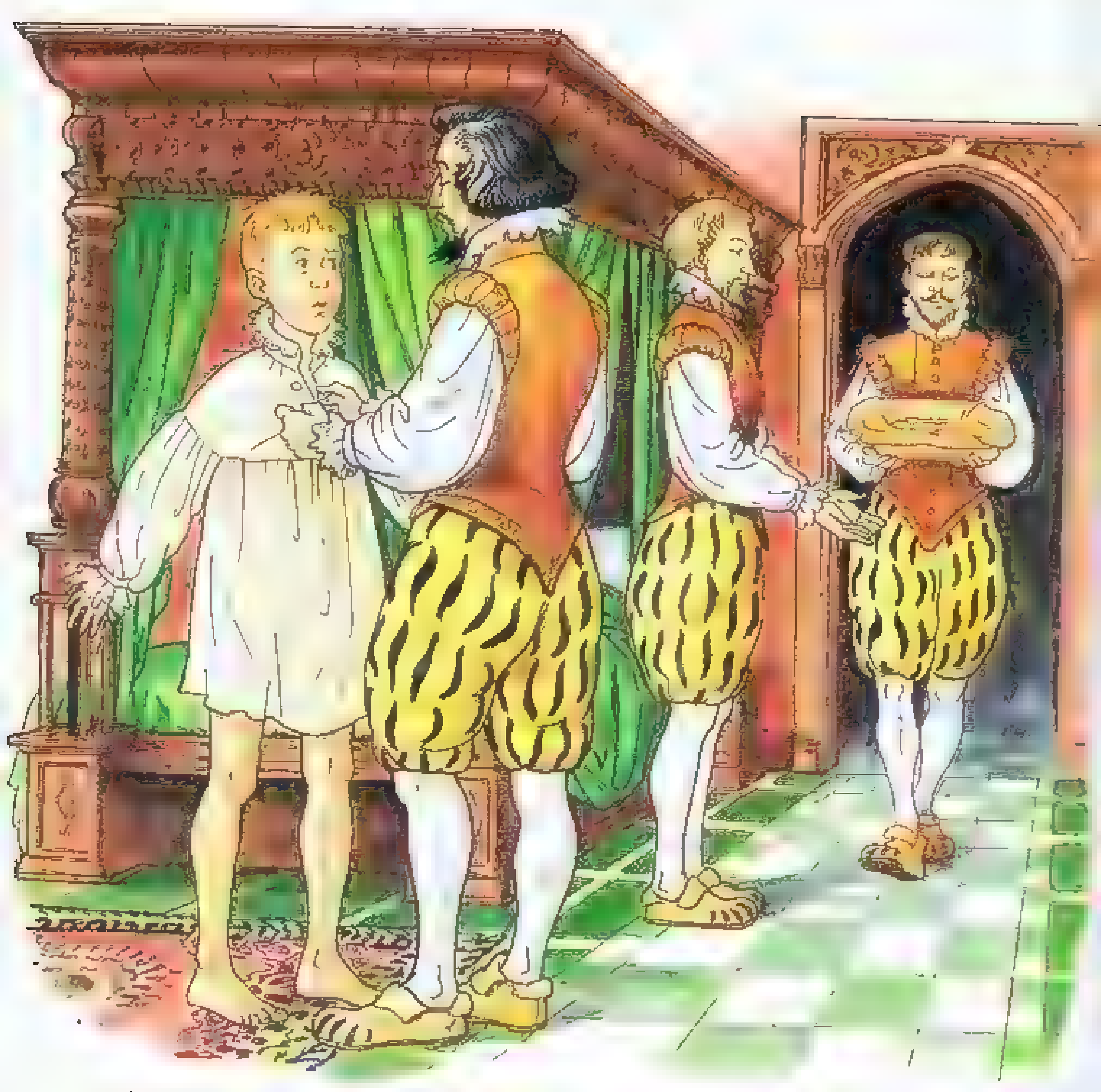
ماذا تَعْني؟ هَلْ تَسْأَلُني عَمّا إذا كُنْتُ أُريدُ النُّهوضَ؟

- نَعَمْ يا صاحِبَ الجَلالَةِ.

-أَجَلْ. أَحْضِرْ لي ثِيابي.

بَعْدَ قليلٍ وَصَلَتْ ثِيابُ صاحِبِ الجَلالَةِ، ويا لَلطَّريقَةِ الَّتي وَصَلَتْ بِها إلى توم! فَقَدْ أَتَى إلى الغُرْفَةِ رَجُلٌ يَحْمِلُ ثِيابَ توم الدّاخِلِيَّةَ، وأَعْطاها لِرَجُلٍ ثانٍ. وتَقَدَّمَ الرَّجُلُ الثّاني خُطُواتٍ وأَعْطاها لِرَجُلٍ ثالِثٍ. وجاءَ الثّالِثُ بِالثِّيابِ إلى توم وساعَدَهُ عَلى ارْتِدائِها. بَعْدَ ذٰلِكَ أَحْضَرَ الرَّجُلُ الأَوَّلُ قَميصَ توم وناوَلَهُ لِلثّاني، فَلِلثّالِثِ الَّذي أَلْبَسَ توم القَميصَ. وعَلى هٰذا المِنْوالِ جاءَتْ كُلُّ قِطْعَةٍ مِنَ الثِّيابِ.

ثُمَّ تَوَجَّهَ توم إلى غُرْفَةٍ أُخْرى لِتَناوُلِ الفَطورِ. وكَما الثِّيابُ كَذٰلِكَ الطَّعامُ: تَنَقَّلَتِ الصُّحونُ والأَطْباقُ عَلى الأَيْدي مِنْ خادِمٍ أَوَّلَ إلى



ثانٍ، فثالِثٍ وَضَعَها على المائِدَةِ. ويَبْدو أَنَّ حَظَّ الطَّعامِ أَكْبَرُ مِنْ حَظِّ الثِّيابِ، إِذْ كانَ هُناكَ خادِمٌ رابِعٌ وخادِمٌ خامِسٌ، لٰكِنَّهُما وَقَفا وَراءَ توم ولَمْ يَقوما بِشَيْءٍ إِنَّما كانا بِانْتِظارِ إِشارَةٍ مِنْهُ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ.

بَعْدَ الطَّعامِ جاءَ اللّورْد هرتْفورْد وأَعْلَمَهُ بِأَنَّهُ قَدْ حانَ الوَقْتُ لِيَتَرَأَّسَ اجْتِماعَ مَجْلِسِ المُسْتَشارينَ. سارَ توم مُنْذَهِلًا ودَخَلَ قاعَةً كُبْرى هِيَ مَقَرُّ اجْتِماعِ المَلِكِ بِمُسْتَشاريهِ.

جَلَسَ توم عَلى مَقْعَدٍ عالٍ مُطَعَّمٍ بِالذَّهَبِ وأَخَذَ السّادَةُ المُسْتَشارونَ يَمُرّونَ أَمامَهُ، وكانَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَنْحَني ويُقَبِّلُ يَدَهُ ويُمْعِنُ في الحَديثِ أَوْ في قِراءَةِ لَفيفَةِ وَرَقٍ طَويلَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ.

كانَ توم ذاهِلًا عَنْ كُلِّ ما يَجْري ويُقالُ، فَبَيْنَما كانَ هٰؤُلاءِ السّادَةُ يَعْرِضونَ أُمورَ الدَّوْلَةِ والسِّياسَةِ كانَ الصَّبِيُّ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ: «إِنَّني أَشْعُرُ بِالمَلَلِ.. آهِ كَمْ أَوَدُّ أَنْ أَذْهَبَ وأَلْعَبَ بِالكُرَةِ أَوْ أَسْبَحَ في النَّهْرِ!»

أَخيرًا انْفَضَّ الاجْتِماعُ عِنْدَما حانَ وَقْتُ الغَداءِ. وحَلَّ توم في قاعَةٍ أُخْرى واسِعَةٍ، ذَكَّرَتْهُ بِالقاعَةِ الكُبْرى في دارِ البَلَدِيَّةِ. لَمّا رَأَى توم حَشْدًا كَبيرًا مِنَ الخَدَمِ أَيْقَنَ أَنَّ جُلوسَهُ إِلى مائِدَةِ الغَداءِ سَيَمْتَدُّ وَقْتًا طَويلًا، فَمَنَّى نَفْسَهُ بِالذَّهابِ لِلسِّباحَةِ في النَّهْرِ بَعْدَ الظُّهْرِ.

لٰكِنَّ المَلِكَ المِسْكينَ اضْطُرَّ لِلجُلوسِ إِلى طاوِلَةٍ والتَّوْقيعِ بِكَلِمَةِ «إِدْوارْد» عَلى وَرَقَةٍ بَعْدَ وَرَقَةٍ، مِنْ دونِ أَنْ يَدْرِيَ ما كانَ مَكْتوبًا عَلى تِلْكَ الأَوْراقِ، ولَمْ يَكُنْ يُهِمُّهُ أَنْ يَعْلَمَ ما فيها. كانَ توم قَدْ رَأَى إِدْوارْد يَكْتُبُ اسْمَهُ، فَأَخَذَ يُكَرِّرُ كِتابَةَ الاسْمِ بِالطَّريقَةِ نَفْسِها.

في المَساءِ أُتْحِفَ توم بِتَرَؤُّسِ مَأْدُبَةٍ كُبْرى أَيْضًا، عادَ بَعْدَ انْتِهائِها إِلى غُرْفَةِ النَّوْمِ وارْتَمى عَلى الفِراشِ، وأَخَذَ يَسْتَعْرِضُ كُلَّ ما مَرَّ مَعَهُ في ذٰلِكَ اليَوْمِ، وقالَ: «كَيْفَ يُمْكِنُني أَنْ أَظَلَّ مَلِكًا؟ إِنَّ هٰذا البَيْتَ الضَّخْمَ رائِعٌ، والثِّيابَ الَّتي أَلْبَسُها أَنيقَةٌ، أَمّا الطَّعامُ فَلَذيذٌ شَهِيٌّ، لٰكِنّي، مَعَ ذٰلِكَ، لا أُريدُ أَنْ أَكونَ مَلِكًا، وأَتَمَنّى أَنْ أَعودَ إِلى بودِنْغ لايْن وأَلْعَبَ مَعَ رِفاقي الأَوْلادِ وأَسْبَحَ في النَّهْرِ..»



أَمْسِكوا اللِّصَّ!

ماذا حَصَلَ لإدْوارْد؟ وكَيْفَ انْطَلَتْ عَلَيْه الحِيلَةُ؟

عِنْدَما رَأى إدْوارْد الفتى هوغو لَمْ يُعْجِبْهُ شَكْلُهُ. لَقَدْ كانَتْ ثِيابُهُ قَذِرَةً وهَيْئَتُهُ رَثَّةً وعَيْناهُ تَدْعُوانِ لِلارْتِيابِ وهُوَ يُديرُ نَظَرَهُ مُحَدِّقًا هُنا وهُناكَ. فَسَأَلَهُ إدْوارْد: «مَنْ أرْسَلَكَ؟» وأجابَ: «مايلْز هِنْدون.»

– وما اسْمُكَ أَنْتَ؟

– إسْمي هوغو.

– ماذا قالَ لَكَ السِّير مايلْز؟

– قالَ لي: قُلْ لِلصَّبِيِّ بِأَنْ يَأْتِيَ إلَيَّ.

– ولٰكِنْ كَيْفَ يُصْدِرُ لي أَمْرًا وأنا مَلِكُهُ!

– إنَّهُ مُصابٌ، ويَطْلُبُ مِنْكَ الذَّهابَ لِمُساعَدَتِهِ.

– حَسَنًا سَأَذْهَبُ. مايلْز أَحَدُ رَعايايَ المُخْلِصينَ وسَأُنْجِدُهُ.

قادَ الشّابُّ إدْوارْد إلى خارِجِ المَدينَة. ولَمّا طالَ بِهِما المَسيرُ سأَلَهُ إدْوارْد: «أيْنَ السِّير مايلْز؟ فَأَجابَ: «إنَّهُ هُناكَ في تِلْكَ الغابَةِ.»

كانَ في الغابَةِ كُوخٌ صَغيرٌ يَخْتَبِئُ بَيْنَ الأَشْجارِ. فَتَحَ هوغو البابَ فَدَخَلَ إدْوارْد، وإذا بِجون كانْتي قابِعٌ في الدّاخِلِ. صاحَ كانْتي: «ها قَدْ أَتَيْتَ أخيرًا لِنَجْدَة والِدِكَ المِسْكينِ! إنَّني مُخْتَبِئٌ هُنا لِأَنَّني قَتَلْتُ رَجُلًا عَجوزًا خَرِفًا.»

سَأَلَهُ إدْوارْد غاضِبًا: «أَيْنَ السِّير مايلْز؟ خُذْني إلَيْهِ.» فَأَجابَ: «لَسْتُ أَعْلَمُ أَيْنَ مايلْز. لٰكِنّي لَمَسْتُ مَدى تَعَلُّقِكَ بِهِ فَطَلَبْتُ مِنْ هوغو

ذِكْرَ اسْمِهِ لاسْتِدْراجِكَ إلى هُنا. والآنَ سَنَذْهَبُ مَعَ هوغو وتَأْتي بِالمالِ لأَبيكَ. أَنْتَ تَعْرِفُ كَيْفَ تَسْتَعْطي، وبِوُجودِ هوغو مَعَكَ لَنْ تَسْتَطيعَ الهَرَبَ ثانِيَةً.»



سارَ إدْوارْد مع هوغو، عَبْرَ الغابَةِ، إلى الطّريقِ العامِّ. وهُناكَ أمَرَهُ هوغو قائِلًا: «عَلَيْكَ أنْ تَقِفَ هُنا. سَأتَظاهَرُ بِأنّي مَريضٌ، وسَتَدّعي أنّكَ أخي. وعِنْدَما يَمُرُّ أُناسٌ على الطّريقِ سَأصْرُخُ مُتألّمًا فيما تَقومُ أنْتَ بِاسْتِجْداءِ المالِ والمُساعَدَةِ.»

لَمْ يَتَسَنَّ لإدْوارْد أنْ يَقولَ كَلِمَةً، إذْ أرْدَفَ هوغو قائِلًا: «إنْتَبِهْ! هُناكَ رَجُلٌ آتٍ نَحْوَنا»، وانْبَطَحَ أرْضًا وراحَ يَتَلَوّى صارِخًا: «آهْ. ساعِدوني مِنْ فَضْلِكُمْ... إنّي أموتُ. نُقْطَةُ ماءٍ مِنْ فَضْلِكُمْ...» فتَقَدَّمَ الرَّجُلُ ورآهُ على تِلْكَ الحالِ وقالَ: «يا لَلْفَتى المِسْكينِ، مِمَّ تَشْكو؟»

ظَلَّ إدْوارْد صامِتًا، فقالَ هوغو وهُوَ يَئِنُّ: «يا سَيِّدي الكَريمَ، هَلّا تَجودُ عَلَيْنا بِبِضْعَةِ قُروشٍ لِكَيْ يَذْهَبَ أخي ويُحْضِرَ لَنا ما نَسُدُّ بِهِ رَمَقَنا.» قالَ الرَّجُلُ: «لكِنَّكَ مَريضٌ، ولا يُمْكِنُ أنْ أتْرُكَكَ هُنا على قارِعَةِ الطّريقِ! إنّ أخاكَ سَيُساعِدُني على نَقْلِكَ إلى مَكانٍ أفْضَلَ.» وتَوَجَّهَ بِالكَلامِ إلى إدْوارْد: «هَيّا، تَعالَ وساعِدْني. سَنَنْقُلُ أخاكَ إلى مَكانٍ آخَرَ. عَلَّنا نَجِدُ بَيْتًا ونُوَفَّقُ بِمَنْ يَعْتَني بِهِ.»

أجابَ إدْوارْد: «أنا المَلِكُ، وهذا لَيْسَ أخي. إنّهُ مُتَسَوِّلٌ ولِصٌّ مُحْتالٌ، وهُوَ لَيْسَ مَريضًا كَما يَدَّعي.» نَظَرَ الرَّجُلُ إلى هوغو وصاحَ غاضِبًا: «لَقَدْ خَدَعْتَني أيُّها اللِّصُّ الحَقيرُ. سَأقودُكَ إلى القاضي لِتَنالَ ما تَسْتَحِقُّهُ.»

عِنْدَها هَبَّ هوغو واقِفًا وانْطَلَقَ يَعْدو هارِبًا، ثُمَّ تَوارى بَيْنَ الأشْجارِ، فَتابَعَ الرَّجُلُ طَريقَهُ فيما بَقِيَ إدْوارْد وَحيدًا على جانِبِ الطّريقِ.



سارَ إدْوارْد عَلى الطَّريقِ وهُوَ في غايَةِ السُّرورِ لِتَخَلُّصِهِ مِنَ الفَتى البَغيضِ هوغو، وأَخَذَ يُخاطِبُ نَفْسَهُ: «لَنْ أَراهُ ثانيَةً! ولَنْ أَعودَ إلى جون كانْتي.» لٰكِنَّهُ فوجِئَ بهوغو يَطْلُعُ مِنْ بَيْنِ الأَشْجارِ ويَصيحُ بِهِ: «لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَقْضِيَ عَلَيَّ! ألا تَعْلَمُ أَنَّ المُتَسَوِّلينَ واللُّصوصَ يُحْكَمُ عَلَيْهِمْ بِالمَوْتِ؟ لَنْ أَنْسى ما فَعَلْتَهُ بي، وسَأُلَقِّنُكَ دَرْسًا لَنْ تَنْساهُ.»

ساقَ هوغو إدْوارْد أَمامَهُ صامِتًا حَتّى جاءا إحْدى البَلَداتِ. وَصَلا إلى وَسَطِ البَلْدَةِ ومَشَيا في سوقِها حَيْثُ كانَ الشّارِعُ يَعِجُّ بِالمارَّةِ يَبيعونَ ويَشْتَرونَ. مَرَّتْ قُرْبَهُما امْرَأَةٌ تَحْمِلُ سَلَّةً بِيَدِها، وكانَ في السَّلَّةِ دَجاجَةٌ سَمينَةٌ. تَناوَلَ هوغو، بِسُرْعَةٍ، حَجَرًا عَنِ الأَرْضِ، ومَشى خَلْفَ المَرْأَةِ، وأَخَذَ الدَّجاجَةَ بِخِفَّةٍ ورَشاقَةٍ، ووَضَعَ الحَجَرَ مَكانَها. ثُمَّ اتَّجَهَ رَأْسًا نَحْوَ إدْوارْد ورمى الدَّجاجَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ وصاحَ بِأَعْلى صَوْتِهِ: «اللِّصُّ، اللِّصُّ! أَمْسِكوا اللِّصَّ»، وانْطَلَقَ مُتَوارِيًا بَيْنَ النّاسِ.

اِسْتَدارَتِ المَرْأَةُ فَرَأَتْ إدْوارْد يُمْسِكُ الدَّجاجَةَ، فصاحَتْ حانِقَةً: «هٰذا هُوَ اللِّصُّ.. أَيْنَ الشُّرْطِيُّ؟ أَحْضِروا الشُّرْطِيَّ!»

اِلْتَفَّ حَوْلَ إدْوارْد جَمْعٌ مِنَ النّاسِ الغاضِبينَ، وقالَ أَحَدُهُمْ: «لَنْ نَنْتَظِرَ الشُّرْطِيَّ! هُناكَ لُصوصٌ كَثيرونَ في السّوقِ، فَلْنُعاقِبْهُ نَحْنُ.»

أَخَذَ قَلْبُ إدْوارْد يَدُقُّ مُتَسارِعًا، وقَدْ أَحَسَّ بِالخَطَرِ الدّاهِمِ، لٰكِنَّهُ سَمِعَ وَقْعَ أَقْدامِ جَوادٍ. نَظَرَ، فَرَأى مايلْز هنْدون يَشُقُّ طَريقَهُ بَيْنَ النّاسِ، فَناداهُ مُسْتَغيثًا: «سير مايلْز! أَنْقِذْني يا سير مايلْز.»

مَرَّ مايلْز بَيْنَ الجُمْهورِ المُحْتَشِدِ وقالَ: «لَقَدْ وَجَدْتُكَ أَخيرًا! أَيْنَ



كُنْتَ؟» فَأَجابَ: «إِنَّ تِلْكَ المَرْأَةَ تَزْعُمُ أَنّي سَرَقْتُ دَجاجَتَها.» فَصاحَتِ المَرْأَةُ: «لٰكِنَّهُ أَخَذَها مِنَ السَّلَّةِ. وَها هِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ!»

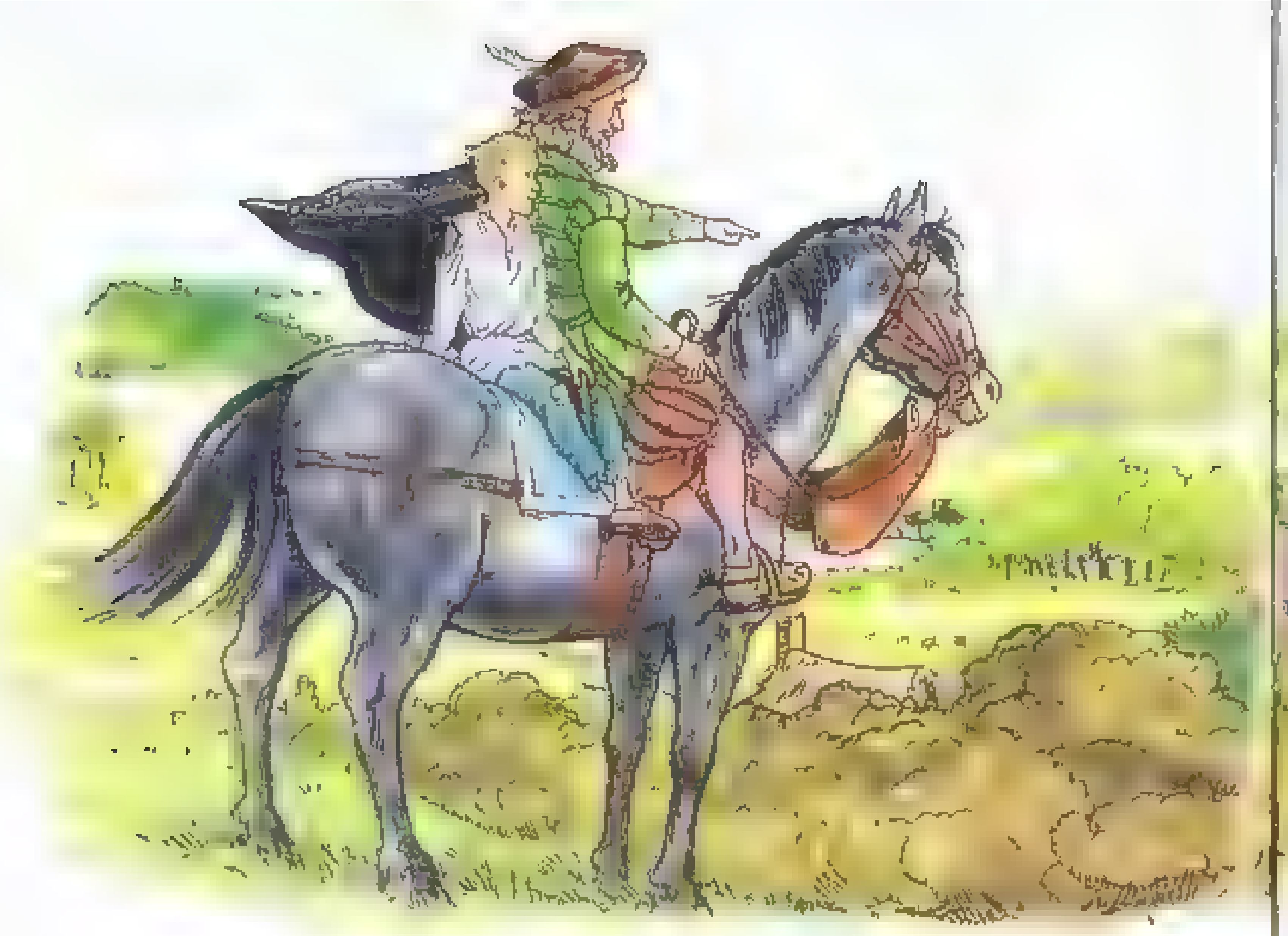
كانَ مايلْز سَريعَ الفِطْنَةِ، فَقالَ: «يا لَها مِنْ دَجاجَةٍ سَمينَةٍ! إِنَّها بِالفِعْلِ ما طَلَبْتُهُ مِنْكَ. ولٰكِنْ كانَ عَلَيْكَ أَنْ تَسْأَلَ السَّيِّدَةَ أَوَّلًا إذا كانَتْ تَرْغَبُ في بَيْعِها!»

ثُمَّ انْتَحى مايلْز بِالمَرْأَةِ جانِبًا، وَقالَ لَها بِصَوْتٍ خافِتٍ مُعْتَذِرًا: «عَفْوًا سَيِّدَتي الكَريمَةَ، إِنَّ خادِمي أَبْلَهُ وَيُخْطِئُ التَّصَرُّفَ أَحْيانًا! لٰكِنّي أَجْزِمُ بِأَنَّهُ وَضَعَ المالَ في السَّلَّةِ. فَلْنَتَأَكَّدْ مِنَ الأَمْرِ.» كانَ في أَثْناءِ



ذٰلِكَ قَدْ وَضَعَ النُّقودَ في قَبْضَتِهِ، فَمَدَّ يَدَهُ داخِلَ السَّلَّةِ وَنَظَرَ وَقالَ بِصَوْتٍ عالٍ: «أَجَلْ أَجَلْ. إِنَّها هُنا.. خَمْسونَ قِرْشًا! لَقَدْ تَسَرَّعْتِ في اتِّهامِ الصَّبِيِّ بِالسَّرِقَةِ.» لَمّا صَمَتَتِ المَرْأَةُ، وَتَفَرَّقَ النّاسُ صاحَ مايلْز بِإِدْوارْد: «تَعالَ يا وَلَدُ!» فَقَفَزَ إِدْوارْد وَرَكِبَ وَراءَهُ عَلى ظَهْرِ الجَوادِ، وَانْطَلَقا يَتَحَدَّثانِ. سَأَلَهُ إِدْوارْد: «كَيْفَ اهْتَدَيْتَ إِلَيَّ؟»

- لَقَدْ قابَلْتُ رَجُلًا، في الفُنْدُقِ، أَخْبَرَني عَنْ حادِثَةٍ جَرَتْ لَهُ مَعَ مُتَسَوِّلَيْنِ أَحَدُهُما يَقولُ إِنَّهُ المَلِكُ وَأَخَذْتُ أَتَتَبَّعُ أَخْبارَكَ مُنْطَلِقًا مِنْ تِلْكَ الحادِثَةِ.
- وَإِلى أَيْنَ نَحْنُ ذاهِبانِ الآنَ؟
- إِلى هِنْدون هُول.
- أُوافِقُ بِشَرْطِ أَنْ أَعودَ بَعْدَ ذٰلِكَ لِأُتَوَّجَ في وِسْتْمِنِسْتَر!



هِنْدون هُول

عِنْدَما حَلَّ المَساءُ قَضى مايلْز وَإِدْوارْد لَيْلَتَهُما في نُزُلٍ، وَاسْتَأْنَفا رِحْلَتَهُما في صَباحِ اليَوْمِ التّالي. وَقَدْ وَصَلا بَعْدَ الظُّهْرِ إِلى قِمَّةِ تَلَّةٍ في مِنْطَقَةٍ ريفِيَّةٍ بَديعَةٍ. وَقَفَ مايلْز هُناكَ وَأَشارَ بِيَدِهِ نَحْوَ قَصْرٍ عِنْدَ أَسْفَلِ السَّفْحِ، تُحيطُ بِهِ الحَدائِقُ وَالبَساتينُ، وَهَتَفَ بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ: «اُنْظُرْ! ذٰلِكَ هُوَ بَيْتي: هِنْدون هُول. هَلْ رَأَيْتَ قَصْرًا يُماثِلُهُ؟ إِنَّهُ يَحْوي خَمْسينَ غُرْفَةً، وَقَدْ كانَ عِنْدَنا في السّابِقِ عِشْرونَ خادِمًا!»

أَخَذا يَنْزِلانِ السَّفْحَ فيما كانَ مايلْز يُجيلُ نَظَرَهُ بَيْنَ البُيوتِ المُتَناثِرَةِ هُنا وَهُناكَ، وَيَقولُ: «ما أَجْمَلَ هٰذا المَكانَ! لَمْ يَتَغَيَّرْ فيهِ شَيْءٌ.»

ما إنِ اجْتازا بَوّابَةَ هنْدون هُول وأصْبَحا في الفِناءِ الكَبيرِ حَتّى قَفَزَ مايلز عَنْ حِصانِهِ، وساعَدَ إدْوارْد عَلى النُّزولِ، ثُمَّ قالَ: «إنَّ قَلْبي يَرْقُصُ فَرَحًا لِعَوْدَتي إلى هنْدون هُول. كَمْ سَيَسْعَدونَ بِرُؤْيَتي! ودَخَلَ حالًا إلى المَنْزِلِ وإدْوارْد وَراءَهُ.

كانَ في إحْدى القاعاتِ رَجُلٌ يَجْلِسُ عَلى كُرْسِيٍّ بِجانِبِ طاوِلَةٍ مَليئَةٍ بِالأَوْراقِ والدَّفاتِرِ، فَصاحَ مايلز مُنْفَعِلًا. «آرْثر، لَقَدْ عُدْتُ! أَلَسْتَ سَعيدًا بِرُؤْيَتي؟ أَيْنَ أَبي؟» أَمّا الرَّجُلُ فَقَدْ نَظَرَ إِلَيْهِ بِبُرودَةٍ فائِقَةٍ وسَأَلَهُ: «مَنْ أَنْتَ؟»

ثارَ ثائِرُ مايلز وقالَ: «أَنا مايلز هنْدون. أَنا أَخوكَ يا آرْثر! لَقَدْ عُدْتُ مِنَ الحَرْبِ بَعْدَ غِيابِ سَبْعِ سَنَواتٍ.» فَأَجابَ: «ما هٰذا الادِّعاءُ الباطِلُ! إِنَّ أَخي مايلز ماتَ في المَعارِكِ مُنْذُ ثَلاثِ سَنَواتٍ. لَقَدْ تَسَلَّمْتُ رِسالَةً مِنْ فَرَنْسا تُؤَكِّدُ وَفاتَهُ.» هَبَّ مايلز صائِحًا: «يا لَكَ مِنْ كَذّابٍ. اُدْعُ والِدي السِّير روبِرْت، فَهُوَ يَعْرِفُني ولَنْ يُنْكِرَني.»

– إِنَّ السِّير روبِرْت قَدْ تُوُفِّيَ.

إِذًا نادِ الخَدَمَ. لَقَدْ كانوا هُنا مُنْذُ سَبْعِ سِنينَ ويَعْرِفونَني

– كُلُّ الخَدَمِ هُنا جُدُدٌ. أَمّا الَّذينَ خَدَموا سابِقًا فَقَدْ رَحَلوا.

أَيُّها الحَقيرُ الماكِرُ، لَقَدْ صَرَفْتَهُمْ جَميعًا حَتّى لا يَتَعَرَّفَ عَلَيَّ أَحَدٌ عِنْدَ عَوْدَتي. عَلى كُلِّ حالٍ إِنَّ اللَّيدي إِديث سَتَتَذَكَّرُني.

هُنا ارْتَسَمَتْ عَلى ثَغْرِ آرْثر ابْتِسامَةٌ صَفْراءُ وهُوَ يَقولُ: «إِنَّ اللَّيدي إِديث تَعْرِفُ أَنَّ مايلز هنْدون قَدْ ماتَ، لَقَدْ رَأَتِ الرِّسالَةَ... وهِيَ

سَتُصْبِحُ زَوْجَتي قَريبًا.» فَصاحَ مايلز: «أَنْتَ زَوَّرْتَ تِلْكَ الرِّسالَةَ.. أَنْتَ أَطْلَقْتَ إشاعَةَ خَبَرِ مَوْتي!» ولَمْ يَعُدْ يَرَى أَمامَهُ مِنْ شِدَّةِ حَنَقِهِ، فَطارَ نَحْوَ شَقيقِهِ كَالفَرَسِ الجامِحِ وصَوْتُهُ يُدَوّي في أَرْجاءِ المَنْزِلِ: «لَقَدِ اسْتَوْلَيْتَ عَلى بَيْتي وأَمْلاكي، والآنَ تُريدُ أَنْ تَأْخُذَ مِنّي اللَّيدي إديث الَّتي كانَتْ سَتُصْبِحُ زَوْجَتي!» ثُمَّ أَمْسَكَ بِعُنُقِهِ ورَماهُ أَرْضًا، فَاسْتَنْجَدَ آرْثر بِأَعْلى صَوْتِهِ طالِبًا النَّجدَةَ.

جاءَ الخَدَمُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مايلز عَلى أَخيهِ، واقْتادوهُ مَعَ إدْوارْد خارِجَ الغُرْفَةِ، ووَضَعوهُما في السِّجْنِ.



فِي السِّجْن

كانَ الاثْنانِ في الزِّنْزانَة صامِتَيْنِ يُفَكِّرانِ بِمَصيرِهِما. ثُمَّ قَطَعَ إدْوارْد الصَّمْتَ لَمّا سَأَلَ: «هَلْ سَيَطولُ بَقاؤُنا في السِّجْنِ؟»

- أَعْتَقِدُ أَنّنا سَنَظَلُّ هُنا حَتّى يَأْتِيَ القاضي. وسَيَسْمَعُ ادِّعاءاتِ آرْثر ويُصْدِرُ حُكْمَهُ عَلَيْنا.

- حُكْمٌ! وبِماذا سَيَحْكُمُ عَلَيْنا؟

قَدْ يَأْمُرُ بِجَلْدِنا ثُمَّ إبْعادِنا عَنِ المِنْطَقَةِ.

- ومَنْ يَجْرُؤُ على جَلْدِ المَلِكِ!

ثُمَّ سَمِعا صَريرَ البابِ، وإذا بِرَجُلٍ يَدْخُلُ حامِلًا لَهُما الطَّعامَ. وعِنْدَما وَضَعَ الطَّبَقَيْنِ عَلى الطّاوِلَةِ وأَدارَ وَجْهَهُ لِيَنْصَرِفَ، تَقابَلَتْ عَيْناهُ وعَيْنا مايلْز.

هَتَفَ مايلْز: «بازيل؟ أَنْتَ بازيل! لَقَدْ كُنْتَ تَعْمَلُ بُسْتانِيًّا عِنْدَما كانَ والِدي حَيًّا.» أَجابَ الرَّجُلُ مَشْدوهًا: «أَجَلْ... مَنْ؟ أَنْتَ سَيِّدي مايلْز؟ لٰكِنْ.. لا، فَالسَّيِّدُ مايلْز ماتَ في الحَرْبِ.»

أَجابَهُ مُوضِحًا: «مايلْز لَمْ يَمُتْ. وها إنّي أَقِفُ أَمامَكَ هُنا. إنَّ أَخي الشِّرّيرَ هُوَ الّذي كَتَبَ تِلْكَ الرِّسالَةَ الكاذِبَةَ لِيَدَّعِيَ مَوْتي، وبِذٰلِكَ تَخْلو لَهُ السّاحَةُ فَيَسْتَوْلي عَلى هِنْدون هُول ويَتَزَوَّجُ اللّيدي إيديث. لٰكِنّي عُدْتُ لِأَكْشِفَ أَكاذيبَهُ!»

هَتَفَ الرَّجُلُ: «سَيِّدي مايلْز، لَكَمْ تَسُرُّني عَوْدَتُكَ! إنَّ أَخاكَ آرْثر شِرّيرٌ حَقًّا. لَقَدْ صَرَفَ كُلَّ الخُدّامِ القُدامى.. سَوْفَ أُخْبِرُ جَميعَ النّاسِ بِأَنَّكَ حَيٌّ وعُدْتَ إلَيْنا.»



قالَ لَهُ مايلْز: «لا لا. عَلَيْكَ أَنْ تُبْقِيَ الأَمْرَ سِرًّا في الوَقْتِ الرّاهِنِ. إيّاكَ أَنْ تُخْبِرَ أَحَدًا. إذا اكْتَشَفَ أخي أَنَّ هُناكَ مَنْ يَعْرِفُني فِعْلًا فَسَيُلاحِقُني بَعْدَ خُروجي مِنَ السِّجْنِ ويَسْعَى لِقَتْلي.»

أَجابَ بازيل: «لَيْسَ هٰذا بِبَعيدٍ عَنْ أَخْلاقِهِ. سَأَكْتُمُ الأَمْرَ.» وأَرْدَفَ مايلْز: «بَعْدَ خُروجي مِنَ السِّجْنِ سَأَعودُ إلى لَنْدن حَيْثُ يُمْكِنُني أَنْ أَسْتَعينَ بِبَعْضِ أَصْدِقائي. إنَّ السِّير هَمفْري مارْلو هو قائِدُ كَتيبَةِ الجُنودِ في قَصْرِ وستْمِنْسْتِر، ولَقَدِ اشْتَرَكْنا في الحَرْبِ بِفَرَنْسا، وهُوَ يَعْلَمُ أَنّي لَمْ أَمُتْ في المَعارِكِ. وهُناكَ أَصْدِقاءُ آخَرونَ في القَصْرِ، سَأَقْصِدُهُمْ وهُمْ سَيُخْبِرونَ المَلِكَ، ولا بُدَّ أَنَّ جَلالَتَهُ سَيُعيدُ الحَقَّ لأَصْحابِهِ. إيّاكَ، يا بازيل، أَنْ تَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ قَبْلَ عَوْدَتي.»

ضَحِكَ إِدْوارْد وقالَ: «المَلِكُ! إسْأَلْهُ يا بازيل مَنْ هُو المَلِكُ الآنَ.»

قالَ بازيل: «إنَّ المَلِكَ هنْري قَدْ ماتَ... يَقولُ النّاسُ إنَّ الأَميرَ الشّابَّ إِدْوارْد لَمْ يُتَوَّجْ بَعْدُ، وسَيَتِمُّ تَتْويجُهُ قَريبًا ويُصْبِحُ مَلِكَنا الجَديدَ.» فَعَلَّقَ إِدْوارْد قائِلًا: «يَجِبُ أَنْ نَخْرُجَ مِنْ هٰذا السِّجْنِ. عَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ إلى لَنْدن لِأُتَوَّجَ.»

بَعْدَ أَيّامٍ جاءَ القاضي، وجَلَسَ لِلنَّظَرِ في أَمْرِ المَسْجونَيْنِ. سَأَلَ القاضي آرْثر: «مَنْ هٰذا الرَّجُلُ؟» فَأَجابَ: «أَنا لا أَعْرِفُهُ يا سَيِّدي، ولَمْ أَرَهُ مِنْ قَبْلُ. لا بُدَّ أَنَّهُ لِصٌّ مُحْتالٌ أَوْ فَقيرٌ مُتَسَوِّلٌ. إنَّهُ مَجْنونٌ... إنَّهُ يَظُنُّ نَفْسَهُ أَخي مايلْز، مع أَنَّ مايلْز قُتِلَ في المَعارِكِ بِفَرَنْسا قَبْلَ ثَلاثِ سَنَواتٍ. والصَّبِيُّ الّذي مَعَهُ مَعْتوهٌ أَيْضًا، فَهُوَ لا يَنْفَكُّ يَقولُ:



أنا المَلِكُ، أنا المَلِكُ.»

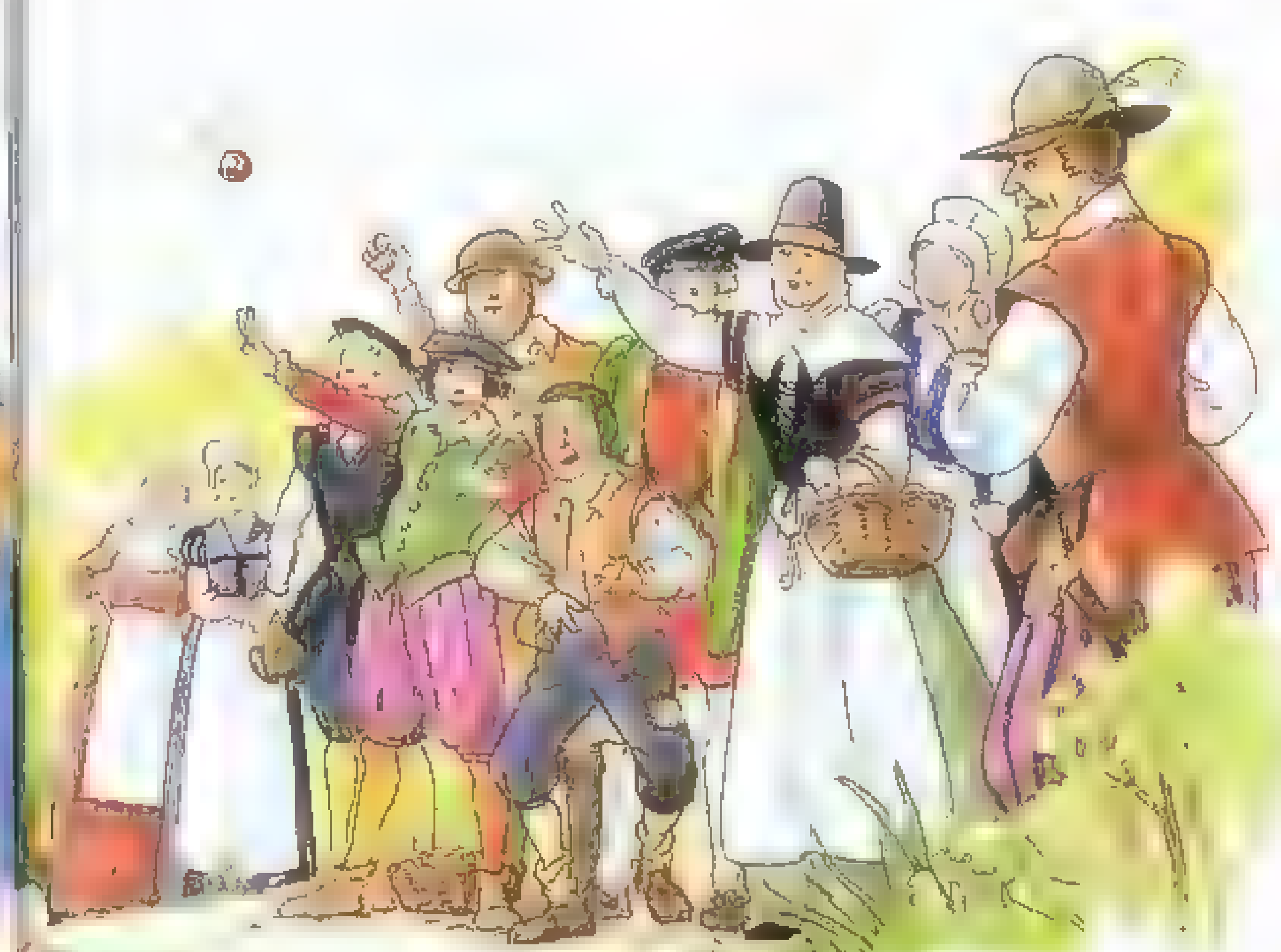
أطْرَقَ القاضي قَليلًا، ثُمَّ قالَ. «إنّي أحْكُمُ بِوَضْعِ الرَّجُلِ في مِقْطَرَةِ التَّعْذيبِ أمامَ كُلِّ النّاسِ، وبِأنْ يُجْلَدَ الصَّبِيُّ.»

صاحَ مايلْز: «لا يا سَيِّدي. إنَّهُ فَتًى صَغيرٌ ولا يَتَحَمَّلُ ذلِكَ، وأنا عَلى اسْتِعْدادٍ لِتَحَمُّلِ الجَلْدِ بَدَلًا مِنْهُ.» فَوافَقَ القاضي عَلى طَلَبِهِ.

وهٰكذا جُلِد مايلْز، ثُمّ وُضِعَ في المِقْطَرةِ وقُيِّدتْ يداهُ ورِجْلاهُ في ثُقوبِها. ثُمّ أخذَ النّاس يتوافدونَ وينْظُرون إلَيْهِ، وكانَ بَعْضُهُمْ يرْميهِ بالبَيْضِ الفاسِدِ وحَبّاتِ الفاكِهَةِ العَفِنَةِ. لٰكِنَّ إدْوارْد وَقَفَ أمامَ مايلْز وواجَهَ النّاسَ مُعْتَرِضًا: «أُتْرُكوهُ.. إنَّهُ صَديقي.. إنّي آمُرُكُمْ بِالتَّراجُعِ.»

أخذَ النّاسُ يَضْحَكونَ، ولٰكِنَّهُمْ أُعْجِبوا بِجُرْأَةِ إدْوارْد وعَلَّقَ بَعْضُهُمْ: «إنَّهُ في غايَةِ الشَّجاعَةِ والاندِفاعِ، ويُجابِهُنا جميعًا دِفاعًا عَنْ صَديقِهِ. فَلْنَتْرُكْهُما!» فَتَفَرَّقَ الجمْعُ، وأمْضى مايلْز بَقِيَّةَ نهارِهِ مُقَيَّدًا في تِلْكَ الآلَةِ الكَريهَةِ، وإدْوارْد إلى جانِبِهِ.

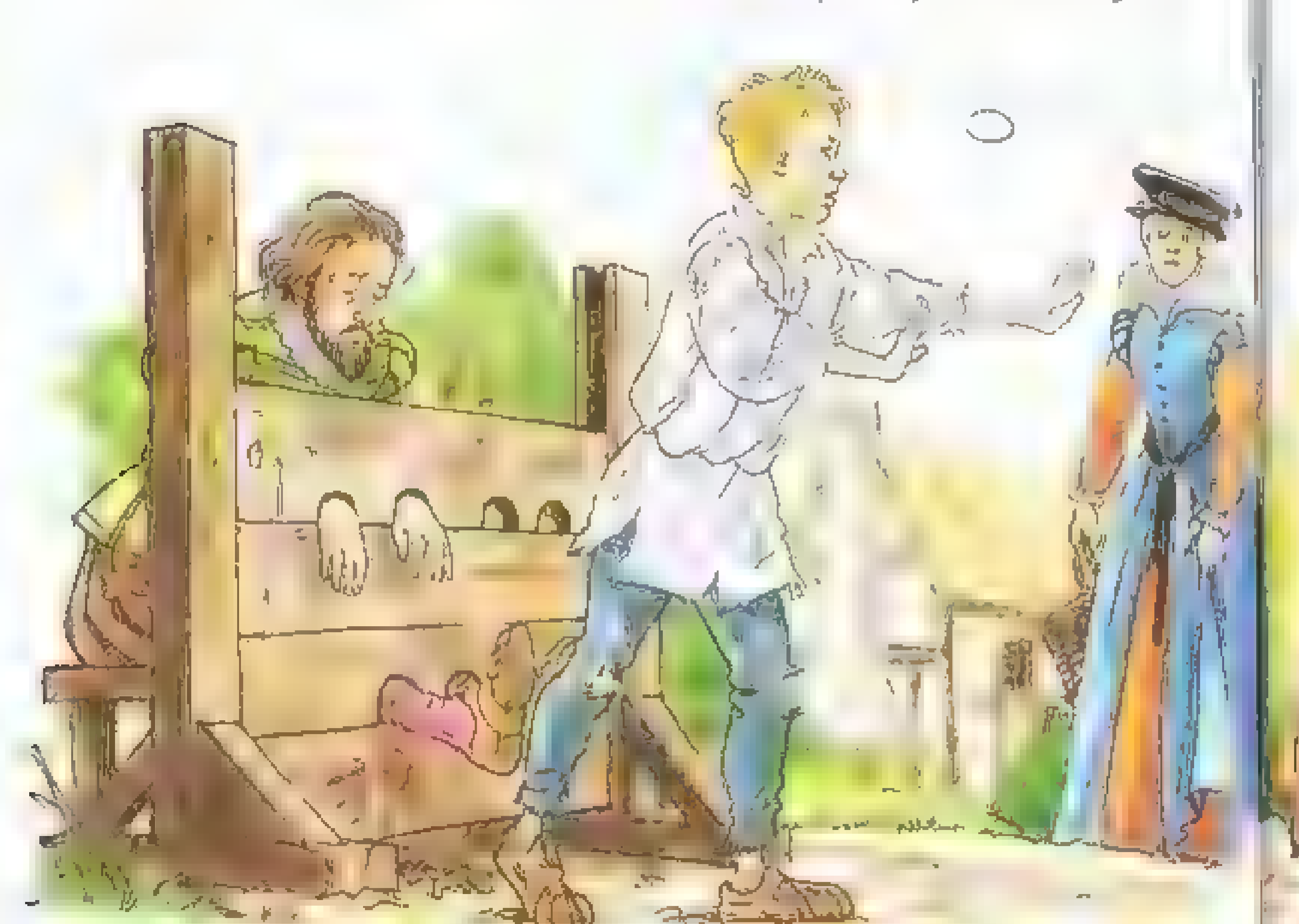
وفي المَساءِ فُكَّ أَسْرُ مايلْز، فانْطَلَقَ هو وإدْوارْد إلى لَنْدن.



تَتْويج المَلِك!

وصَلَ مايلْز وإدْوارْد إلى لَنْدن، ووَجَدا أنّ المدينةَ ترْتدي حُلَّةً بَهِيَّةً كَأنَّها في عيدٍ وكانَتِ الشّوارِعُ تَغُصُّ بِالنّاسِ يَروحونَ ويَجيئونَ مُغْتَبِطين.

ذَهَبا إلى أحَدِ الفنادقِ ليرْتاحا قليلًا ويتناوَلا الطّعام. وبَعْدَ أنْ فرغا منَ الأكْلِ قالَ إدْوارْد: «أَحْضِرْ لي قَلَمًا وورقةً. أُريدُ أنْ أكْتُبَ رسالَةً.» فأجاب مايلْز مازِحًا: «ولِمَنْ تُريدُ أنْ تَكْتُبَ؟ لِلمَلِكِ؟ إنّهُ مُنْشغلٌ ولَنْ يَقْرَأَ أيَّ رِسالَةٍ. فَاليَوْمَ سَيَتِمُّ الاحْتِفالُ بِتَنْصيبِهِ مَلِكًا.» جلَس إدْوارْد مُطْرِقًا وهُو يَتساءَلُ: «ماذا أكْتُبُ؟ ما هُوَ الشَّيْءُ الّذي يُمْكِنُ أنْ يُقْنِعَ كِبارَ اللّوردات بِأنّني إدْوارْد؟ يجبُ أنْ أُفكِّرَ في أمْرٍ أعْرِفُهُ أنا ولا يَعْرِفُهُ توم.» ويَبْدو أنّ تَفْكيرَهُ قَدْ هَداهُ إلى المَنْشودِ، فَعَمَدَ



إلى الوَرَقةِ والقَلَمِ وخَطَّ بِضْعَ كَلِماتٍ، وقالَ لِمايلْز: «هَيّا، فَلْنَذْهَبْ.»

وَصَل مايلْز وإدْوارْد إلى بَوّابَةِ قَصْرِ وسْتمِنِسْتر، فيما كانَ السّادَةُ والسَّيِّداتُ مِنْ طَبَقَةِ النُّبَلاءِ يَحْتَشِدونَ في كَنيسَةِ وسْتمِنِسْتر حَيْثُ تَجْري عادَةً مَراسِمُ تَتْويجِ المُلوكِ والمَلِكاتِ في إنكِلْترا.

في أَثْناءِ ذٰلِكَ كانَ توم في القَصْرِ يَلْبَسُ آخِرَ قِطْعَةٍ مِنَ الثِّيابِ الرّائِعَةِ المُخَصَّصَةِ لاحْتِفالِ التَّتْويجِ، وكانَ يُحيطُ بِهِ اللّورْد هرتفورْد واللّورْد سومرْسِت وحُكّامُ المُقاطَعاتِ وبَعْضُ النُّبَلاءِ والمُقَرَّبينَ، فيما كانَ السِّير هَمفْري مارْلو يَقِفُ بِبابِ القاعَةِ يَنْتَظِرُ أَنْ يَحينَ الوَقْتُ المُحَدَّدُ لِيُصْدِرَ أَمْرَهُ للجُنود بِبَدْءِ المَسيرَةِ نَحْوَ الكَنيسَةِ.

سَمِعَ الجَميعُ جَلَبَةً مِنْ ناحِيَةِ مَدْخَلِ القَصْرِ مِمّا يَدُلُّ على حُصولِ عِراكٍ أَوْ شَغَبٍ، فَأَرْسَلَ السِّير هَمفْري أَحَدَ رِجالِهِ لاسْتِطْلاعِ الأَمْرِ.

عادَ الجُنْدِيُّ بَعْدَ قَليلٍ وقالَ: «هُناكَ رَجُلٌ عِنْدَ البَوّابَةِ ومَعَهُ صَبِيٌّ.. يَقولُ الرَّجُلُ إنَّ اسْمَهُ هُو مايلْز هنْدون، ويَقولُ الوَلَدُ إنَّهُ يَحْمِلُ رِسالَةً لِلمَلِكِ، ثُمَّ يَدَّعي أَنَّهُ هُوَ المَلِكُ! أَظُنُّ أَنَّهُ مَجْنونٌ.» فَعلَّقَ السِّير هَمفْري مُسْتَغْرِبًا: «مايلْز هنْدون! إنَّهُ إنْسانٌ شَريفٌ وجُنْدِيٌّ شُجاعٌ، وأَسْتَبْعِدُ أَنْ يَقومَ بِمِثْلِ هٰذا العَمَلِ أَمامَ القَصْرِ المَلَكِيِّ.»

لَمّا سَمِعَ توم ما قيلَ تَقَدَّمَ مِنَ الجُنْدِيِّ وسَأَلَهُ: «هَلْ قُلْتَ إنَّ هُناكَ وَلَدًا مَعَهُ رِسالَةٌ؟» فَانْحَنى الجُنْدِيُّ وأَجابَ: «أَجَلْ يا مَوْلانا المُعَظَّمَ»، فَأَمَرَهُ توم بِقَوْلِهِ: «اِذْهَبْ فَوْرًا وأَحْضِرْهُما إلى هُنا.» لٰكِنَّ السِّير هَمفْري خاطَبَ توم قائِلًا: «لٰكِنْ يا صاحِبَ الجَلالَةِ...» فَقاطَعَهُ توم



وكَرَّرَ أَمْرَهُ لِلجُنْدِيِّ: «أَحْضِرْهُما في الحالِ.»

وهٰكذا سِيقَ مايلْز وإِدْوارْد إلى القاعَةِ حَيْثُ كانَ توم وكِبارُ رِجالِ البِلادِ يَنْتَظِرونَ، وما إِنْ دَخَلَ إِدْوارْد حَتّى رَكَضَ توم نَحْوَهُ ورَكَعَ وقالَ: «يا صاحِبَ الجَلالَةِ! لَقَدْ جِئْتَ في الوَقْتِ المُناسِبِ.»

إِسْتَغْرَبَ الرِّجالُ ما يَحْدُثُ، وعَلَّقَ السِّير هرتْفورْد: «ها قَدْ عُدْنا إلى الهَذَيانِ. فَماذا سَنَفْعَلُ؟»

أَمْسَكَ إدْوارْد يَدَ توم وأَنْهَضَهُ. فصاحَ السِّير هَمفْري مُشيرًا بِيَدِهِ إلى إدْوارْد: «أَمْسِكوا ذٰلِكَ الصَّبِيَّ»! وأَنْتَ يا مايلْز ماذا تَفْعَلُ هُنا؟» لٰكِنَّ اللّورْد هرتْفورْد هَتَفَ: «تَوَقَّفوا! أُنْظُروا إلَيْهِما. لاحِظوا وَجْهَيْهِما. إنَّهُما مُتَشابِهانِ تَمامًا... لَسْتُ أَدْري ماذا أَقولُ! لَعَلَّ أَميرَنا هٰذا لَمْ يَكُنْ يَهْذي. قَدْ لا يَكونُ الأَميرَ فِعْلًا!»

تَسَمَّرَ جَميعُ مَنْ في القاعَةِ وهُمْ يُحَدِّقونَ بِالوَلَدَيْنِ إدْوارْد وتوم وقَدْ وَقَفا جَنْبًا إلى جَنْبٍ. ثُمَّ قالَ اللّورْد سومرْسِت: «يَجِبُ أَنْ نَسْأَلَ هٰذا الصَّبِيَّ أَسْئِلَةً يُمْكِنُ أَنْ تَكْشِفَ لَنا الحَقيقَةَ.» فَتَقَدَّمَ اللّورْد هرتْفورْد مِنْ إدْوارْد وراحَ يُلْقي عَلَيْهِ سَيْلًا مِنَ الأَسْئِلَةِ المُتَتابِعَةِ حَوْلَ القَصْرِ وأَفْرادِ الأُسْرَةِ المَلَكِيَّةِ والحاشِيَةِ والخَدَمِ... وكانَ إدْوارْد يُجيبُ عَنْ كُلِّ ذٰلِكَ بِدِقَّةٍ ومَعْرِفَةٍ.

لٰكِنَّ اللّورْد سومرْسِت قالَ: «مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَعْلَمَ الصَّبِيُّ كُلَّ هٰذِهِ الأُمورِ مِنْ دونِ أَنْ يَكونَ هُوَ الأَميرَ الفِعْلِيَّ.» فَتَوَجَّهَ توم إلى إدْوارْد بِالسُّؤالِ: «وماذا في تِلْكَ الرِّسالَةِ؟» تَناوَلَ اللّورْد هرتْفورْد الرِّسالَةَ مِنْ يَدِ إدْوارْد وقَرَأَ ما كُتِبَ فيها بِصَوْتٍ عالٍ: «أَيْنَ الخَتْمُ المَلَكِيُّ؟» ثُمَّ خاطَبَ توم: «لَقَدْ سَأَلْتُكَ عَنْهُ، يا صاحِبَ الجَلالَةِ، مُنْذُ أَيّام، لٰكِنَّكَ لَمْ تُخْبِرْني بِمَكانِ وُجودِهِ.» قالَ توم: «لَسْتُ أَدْري ما هُوَ الخَتْمُ المَلَكِيُّ، ولا أَعْلَمُ أَيْنَ هُوَ.» فَصاحَ إدْوارْد: «فَتِّشوا الحُلَّةَ المُدَرَّعَةَ في غُرْفَتي، وسَتَجِدونَهُ داخِلَ اليَدِ».

فَتَذَكَّرَ توم وقالَ: «أَهُوَ ذٰلِكَ الشَّيْءُ الكُرَوِيُّ الثَّقيلُ؟ لَقَدْ... لَقَدْ...» فَصاحَ بِهِ هرتْفورْد: «أَجَلْ أَجَلْ، ماذا فَعَلْتَ بِهِ؟ أَخْبِرْني.»

أجابَ توم: «لَقَدِ اسْتَخْدَمْتُهُ لِكَسْرِ حَبّاتِ الجَوْزِ والبُنْدُقِ.» فَغَرِقَ الرِّجالُ كُلُّهُمْ في ضَحِكٍ مُتَواصِلٍ.

وأخيرًا!

وأخيرًا تُوِّجَ إدْوارْد الحَقيقِيُّ مَلِكًا على إنكلْترا. وقَدْ كانَ مَلِكًا عادِلًا لِأَنَّهُ قَضى أيّامًا مَعَ عامَّةِ الشَّعْبِ وتَحَسَّسَ مُعاناتَهُمْ وعَرَفَ

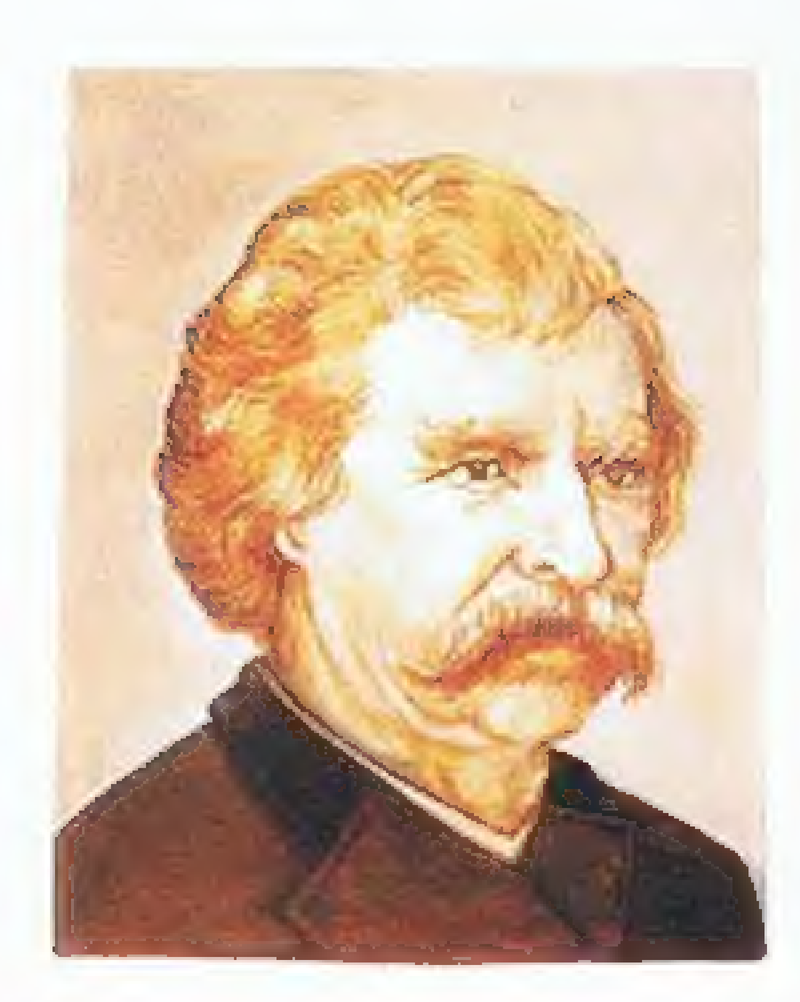


حاجاتِهِمْ. أَمّا توم فقَدْ عاشَ في القَصْرِ وكانَ أَقْرَبَ المُقَرَّبينَ إلى المَلِكِ.

وقَدِ اسْتَعادَ السِّير مايلْز هنْدون قَصْرَهُ وأَمْلاكَهُ وتَزَوَّجَ مِنَ اللّيدي إديث. وكانَ جَلالَةُ المَلِكِ إدْوارْد يَزورُهُ أَحْيانًا في قَصْرِهِ، هنْدون هُول، حَيْثُ كانَ باريل يَعْمَلُ رَئيسًا لِعُمّالِ البَساتينِ. أَمّا جون كانْتي، والِدُ توم، فَقَدِ اخْتَفى أَثَرُهُ ولَمْ يَرَهُ أَحَدٌ. لٰكِنَّ توم قَدَّمَ لِوالِدَيْهِ وأُخْتَيْهِ بَيْتًا جَميلًا واسِعًا في الرِّيفِ.

لَمْ يَعِشِ المَلِكُ إدْوارْد عُمْرًا طَويلًا. وبَعْدَ وَفاتِهِ ذَهَبَ توم إلى الرِّيفِ وعاشَ مَعَ والِدَيْهِ وشَقيقَتَيْهِ. وقَدْ كَتَبَ قِصَّتَهُ الرّائِعَةَ هٰذِهِ مُتَذَكِّرًا كَيْفَ أَنَّهُ، وهُوَ الصَّبِيُّ الفَقيرُ، قَدْ عاشَ بِضْعَةَ أَيّامٍ مِنْ عُمْرِهِ كَمَلِكٍ لإنكلْترا





مارْك توين

وُلِدَ مارْك توين، واسْمُهُ الحَقيقِيُّ صَمْويل لانغْهورْن كليمنْس، في فلوريدا بِولايَةِ ميسوري، في الثَّلاثينَ مِنْ تِشْرينَ الثّاني (نوفمبر) عامَ ١٨٣٥ . ذاقَ الفَقْرَ في طُفولَتِهِ، إذْ إنَّ والِدَهُ لَمْ يُوَفَّقْ في أيِّ عَمَلٍ قامَ بِهِ. عِنْدَما وُلِدَ مارْك توين، كانَ والِدُهُ يَمْلِكُ مَتْجَرًا صَغيرًا في فلوريدا، لٰكِنَّهُ خَسِرَ المَتْجَرَ، فَاضْطُرَّتِ العائِلَةُ لِلانْتِقالِ حَوالَى ثَمانِيَةٍ وأرْبَعينَ كيلومِتْرًا، إلى بَلْدَةِ هَنيبال، الواقِعَةِ قُرْبَ نَهْرِ الميسيسيبي. وقَدْ نَشَأَ هُناكَ وهُوَ يُراقِبُ السُّفُنَ البُخارِيَّةَ تَمُرُّ في النَّهْرِ، وشَهِدَ تَطَوُّرَ الحَياةِ في تِلْكَ البَلْدَةِ الصَّغيرَةِ، فَحَمَلَ ذِكْرَياتٍ لا تُنْسَى كانَتْ مَصْدَرَ وَحْيٍ لِكَثيرٍ مِنْ رِواياتِهِ.

أُضْطُرَّ مارْك توين لِتَرْكِ المَدْرَسَةِ وهُوَ في الثّانِيَةَ عَشْرَةَ عِنْدَما تُوُفِّيَ والِدُهُ سَنَةَ ١٨٤٧ ، فَتَمَرَّنَ عَلى العَمَلِ في مَطْبَعَةٍ، ثُمَّ قامَ هو وأخوهُ أوريون بِطِباعَةِ صَحيفَتَيْنِ مَحَلِّيَّتَيْنِ. بَعْدَ ذٰلِكَ تَوَجَّهَ شَرْقًا حَيْثُ عَمِلَ في بَعْضِ الصُّحُفِ في سانْت لُويس ونيويورك وفيلادلفيا. عامَ ١٨٥٧ ذَهَبَ إلى نيو أورْليانز، وقَرَّرَ أنْ يُجَرِّبَ نَوْعًا جَديدًا مِنَ العَمَلِ، فَأخَذَ يَتَدَرَّبُ عَلى قِيادَةِ السُّفُنِ البُخارِيَّةِ. وأثَرُ هٰذِهِ الفَتْرَةِ مِنْ حَياتِهِ ظاهِرٌ بِوُضوحٍ في كِتابِهِ «**الحَياة في الميسيسيبي**» (Life On the Mississippi) (١٨٨٣). عِنْدَما انْدَلَعَتِ الحَرْبُ الأهْلِيَّةُ الأميرِكِيَّةُ، سَنَةَ ١٨٦١ ، انْضَمَّ إلى أحَدِ التَّنْظيماتِ المُسَلَّحَةِ، ثُمَّ جَرَّبَ التَّنْقيبَ عَنِ الفِضَّةِ فَلَمْ يُوَفَّقْ.

لَمْ يَعْرِفْ مارْكْ توين الشُّهْرَةَ إلّا كَصَحَفِيٍّ وكاتِبٍ هَزْلِيٍّ. وقَدْ حَقَّقَ أَوَّلَ نَجاحٍ لَهُ سَنَةَ ١٨٦٥ لَدى نَشْرِ مَقالَتِهِ **«جيم سمايلي والضِّفْدَع الوَثّابة»** (Jim Smiley and His Jumping Frog)، فَعُهِدَ إلَيْهِ بِالسَّفَرِ إلى جُزُرِ هاواي، وقَدْ أَرْسَلَ مِنْ هُناكَ مَقالاتٍ ساخِرَةً. ثُمَّ قامَ بِإلْقاءِ سِلْسِلَةٍ مِنَ المُحاضَراتِ النّاجِحَةِ. سافَرَ، بَعْدَ ذٰلِكَ، إلى فَلَسْطينَ وإلى أوروبا، فَأَثْمَرَتْ رِحْلَتُهُ تِلْكَ كِتابَهُ الرّائِعَ **«الأَبْرِياء في الخارِج»** (The Innocents Abroad) الّذي نَشَرَهُ سَنَةَ ١٨٨٩.

بَعْدَ أَنْ تَبَوَّأَ توين مَرْكَزَهُ كَكاتِبٍ شَعْبِيٍّ، ازْدادَ إنْتاجُهُ، فَظَهَرَتْ لَهُ عِدَّةُ رِواياتٍ ناجِحَةٍ مِنْها: **«مُغامَرات توم سُويِر»** (The Adventures of Tom Sawyer) و **«مُغامَرات هاكلبري فِين»** (The Adventures of Huckleberry Finn).

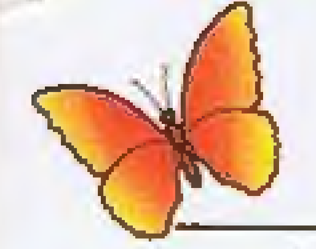
ورِوايَةُ **«الأَمير والفَقير»** (The Prince and the Pauper) هِيَ إحْدى الرِّواياتِ الشَّعْبِيَّةِ الّتي تُظْهِرُ مَقْدِرَةَ توين الفائِقَةَ في حَبْكِ قِصَصِ المُغامَراتِ الجَذّابَةِ.

بِالرَّغْمِ مِنْ نَجاحِ توين وشَعْبِيَّتِهِ لَمْ يَكُنْ راضِيًا، وكانَ يُنْفِقُ كُلَّ المالِ الّذي يَجْنيهِ مِنْ كُتُبِهِ عَلى مَشاريعَ تِجارِيَّةٍ فاشِلَةٍ ومُغامَراتٍ واخْتِراعاتٍ، حَتّى إنَّهُ كانَ يَقَعُ في الدَّيْنِ أَحْيانًا. ومَعَ تَقَدُّمِهِ في السِّنِّ شَعَرَ بِخَيْبَةِ أَمَلٍ مِنَ الوُجودِ وسَيْطَرَ عَلَيْهِ التَّشاؤُمُ حِيالَ مُسْتَقْبَلِ الجِنْسِ البَشَرِيِّ. وقَدْ ظَهَرَ في كِتاباتِهِ الأَخيرَةِ شَيْءٌ مِنْ هٰذا التَّشاؤُمِ فاجَأَ القُرّاءَ الّذينَ عَرَفوهُ كاتِبًا طَريفًا ومُسَلِّيًا.

تُوُفِّيَ مارْكْ توين سَنَةَ ١٩١٠.



كتب الفراشة - القصص العالميّة



كتب الفراشة

القصص العالميّة ٢٨. الأمير والفقير

في هٰذه الرِّواية لِلكاتِب الأميركيّ الشَّهير **مارْك توين** نَعيشُ أَجواءَ إنكلْترا في القرْن السّادِسَ عَشَرَ، مِن أَحْيائها الفَقيرة إلى قُصورها المَلَكيّة، ونُعايِش فُقَراءَها ونُبَلاءَها.

إنَّها مُغامَرة طَريفة شَيِّقة يَخوضُها وَلَدانِ مُتشابِهانِ شَكْلًا، هُما الأَمير إدْوارْد وَلِيّ العَهْد وتوم كانْتي المُتسوِّل المُعدِم.

يَتَّفِقُ الاثْنانِ على أن يَتبادَلا مَوْقِعَيْهما مُؤَقَّتًا. لٰكِنَّ الأُمورَ لم تَكُنْ بَسيطَةً كَما تَصوَّراها...





مكتبة لبنان ناشرون

01C196830